هدي السلف الصالح
في تربية الأبناء

تأليف

محمد بن رمزان آل طامي الهاجري

مقدمة الناشر

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فإنَّ دِينَ الإِسْلَام العَظيمِ بَيَّن بجلاء تَامٍّ الطَّريق المُوصل إلىٰ مرضاة الله ﷻ.

ولَمْ يَقْتصر هذا الدينُ العظيمُ علىٰ مُجرَّدِ الدَّعْوة إلىٰ وجوب التَّمَسُّك بالعقيدة الصحيحة فَحَسب؛ بل جَاءَ بمَنْهجٍ تربويٍّ كاملٍ وشاملٍ لتَحْقيق ما يَصْبو إليه الفَرد والمُجتمع من سَعَادةٍ ونَجَاحٍ وطُمَأنينةٍ وأمن وسَلَامٍ.

ومَفْهومُ التَّربيةِ في الإِسْلامِ واسعٌ وجَليل، وَهُوَ إِعْدادُ الإِنْسانِ الصَّالح في الحياة، وهذه التَّربيةُ مُسْتمرَّةٌ من قبل الولادة باختيار الأُمِّ، وذكر الله عند الجِمَاع حتَّىٰ الخروج مِن هذه الحياة، وهي تربيةٌ كاملةٌ مُتَوازنةٌ، تُربِّي في المرء المسلم الخيرَ والفضائلَ، وتَعْمل علىٰ إبعادِهِ عن الشَّرِّ والمُنْكراتِ.

فعَلَىٰ المُسْلمين المُخْلصين أن يَتَّخذوا من أُسْلوبِ التَّربيةِ النَّبويَّةِ مَنْهجًا لهم؛ لتَسْتعيدَ الأُمَّةُ دَوْرَها القياديَّ للبشريَّة؛ حتىٰ تُنْقِذَ العَالم من أَتون الشِّرك والجَهَالات والضَّلالات.

يقول فضيلة الشيخ العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «نظام الأسرة في الإسلام»**: «الرِّسالة المُحمديَّة هي المهيمنة علىٰ جميع الأديان، فدينُهُ هو النِّظام الأخير الَّذي لا يَسَع أحدًا من البشر إلَّا اتِّباعه، ولا تجوز مُخالفته.

وهو نظامٌ ربانيٌّ كاملٌ؛ لأنَّ الله الَّذي خلق هذا الكائن الممتاز (الإنسان) لا يليق بِحكمته أن يتركه هملًا دون أمرٍ أو نَهيٍ أو توجيهٍ، ويسلمه للفوضىٰ

ليَتخبَّط خبط عشواء، يُحلِّل ويُحرِّم كما يَهوىٰ أو يشاء، أو يعبد ما يريد، كلَّا، بل نَظَّم له حياته وعلاقاته المُتنوِّعة، وأرسل رُسُله لِهذا الغرض ذاتِهِ، وأنزل عليهم كُتُبه، وأرسل خاتم رُسُله مُحمَّدًا عليه الصَّلَاة والسَّلام، إِذْ لا نبيَّ بعده، وآخرُ كُتُبه القرآن الكريم، إِذْ لا كتاب بعده، وبيان ذلك الكتاب وتفسيره فِي السُّنَّة المُطهَّرة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

وبِهذا كلِّه نَظَّم الإسلامُ علاقةَ العبد بربِّه وخالقه بحيث يصبح عبدًا له وحده، يعبده دون غيره، يعبده بعبادةٍ مُنظَّمةٍ مضبوطةٍ بضوابط الشَّرْع، تَولَّىٰ القرآنُ تنظيمها جملةً أو تفصيلًا، وشرحتها السُّنَّة المُطهَّرة وزادتها بيانًا وتوضيحًا علىٰ اختلاف درجاتِها وشُعَبها الكثيرة، إذ يقول الرَّسُول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الإيمان بضعٌ وستون شُعْبةً، أعلاها قول: لا إله إلَّا الله، وأَدْناها إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، والحياءُ شُعْبةٌ من الإيمان**»(١).

وهذه الشُّعَب كلُّها عبادةٌ وطاعاتٌ علىٰ تفاوتِها.

وجميع العبادات يجب أن تكون مُقيَّدةً بشريعة الله الَّتِي تُؤخَذ رأسًا من كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، وخاضعةً لأحكامه، وسلوكُ العبد هذا المسلك فِي جميع عباداته ومعاملاته وجميع تَصرُّفاته هو الَّذي نَعْنيه بالعلاقة بَيْن العبد ورَبِّه، وهي العُبُوديَّة الخالصة، وحقيقتها ألَّا يفقدَ الرَّبُّ عبده حيث أمره، ولا يجده حيث نَهاه، وإِنْ هفا أحيانًا وخالف أمر ربِّه، بادر بالتَّوْبة والرُّجوع إِلَىٰ الصَّوَاب؛ ليمحو أثر مُخالفته وعصيانه بالتَّوْبة

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والإنابة؛ لأنَّ التَّوْبة تَجُبُّ ما قبلها: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

هكذا نَظَّم الإسلامُ -بالاختصار- علاقة العبد بربِّه وخالقه، فكما نَظَّم هذه العلاقة علىٰ الوجه الَّذي ذكرنا، كذلك اهتمَّ الإسلام بتنظيم الأسرة.

وقَدْ حثَّ الإسلام علىٰ إنشاء مُؤسَّسة الأسرة بتشريعه الزَّواج، وحَثِّه عليه مُبيِّنًا أنَّ الزَّواج سكونٌ للنَّفْس للطَّرفين، وهدوءٌ لَهما، وراحةٌ للجسد، وطُمَأنينةٌ للرُّوح، وامتدادٌ للحياة إلَىٰ آخر مَطافها.

فلنستمع الآن إلَىٰ بعض الآيات القرآنيَّة فِي هذه المعاني، إِذْ يقول الله تعالىٰ وهو يحثُّ عباده علىٰ الزَّواج: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣]، ويقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، وحيث يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧]، ويقول: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٢٢٣].

هكذا يَتحدَّث القرآن عن مُؤسَّسة الأسرة فِي عديدٍ من الآيات، وبأساليبَ مُختلفةٍ كما رأينا، وكما نسمع مَرَّةً أخرىٰ آية سورة النِّساء الَّتِي تُبيِّن أنَّ طرفي هذه المُؤسَّسة خُلِقَا من نفسٍ واحدةٍ، وكأنَّهما شطران لنفسٍ واحدةٍ، فلا فضلَ لأحد الشَّطْرين علىٰ الآخر فِي أصل الخِلْقة، ومن حيث العنصر، وإنَّما يحصل التَّفاضل بينهما بأمورٍ خارجيَّةٍ، ومُقوِّماتٍ أخرىٰ غير ذاتيَّةٍ، وصفاتٍ مكتسبةٍ؛ إذ يقول الله تعالىٰ فِي هذا المعنىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ

رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١]، هكذا يحثُّ الإسلام علىٰ إنشاء الأسرة لتكون امتدادًا للحياة، وراحةً للطَّرَفين.

ثم ينتقل فضلة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للحديث عن أهداف الزَّوَاج في الإسلامِ؛ فيقول: «التَّشْريعُ الإسلاميُّ تشريعٌ حكيمٌ، وله هدفٌ ومغزىٰ.

فالله تعالىٰ من أسمائه: «الحكيم»، لذا يَجب أن نعتقد جازمين أنَّه تعالىٰ حكيمٌ فِي تشريعه، كما هو حكيمٌ فِي خَلْقه وصُنْعه.

فحِكَم تَشْريع الزَّواج تَكْمن فِي الأُمُور التَّالية:

أ- غضُّ البصر من الطَّرفين: وقَد اهتمَّ الإسلام فِي قرآنه وسُنَّة النَّبِيِّ الكريم ﷺ بهذا الأمر، يقول الله تعالىٰ وهو يأمر الرِّجال والنِّساء معًا بغضِّ البصر: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠، ٣١].

والتَّساهل فِي مسألةِ غضِّ البصر يُؤدِّي إلَىٰ الانزلاق الخُلُقيِّ كما هو مشاهدٌ فِي أكثر مدننا وعواصمنا الإسلاميَّة وللأسف الشَّديد.

ب- حفظُ الفَرْج: وقَدْ تناولت الآيات الَّتِي تَقدَّم ذِكْرها قريبًا الأمر بحِفْظ الفرج مع الأمر بِغَضِّ البصر، ولعلَّ الأوَّل ينتج الثَّاني بِمعنىٰ أنَّ غضَّ البصر ينتج حِفْظ الفرج فِي الغالب الكثير؛ لأنَّ مَنْ تَمكَّنت منه مراقبة الله تعالىٰ فلازمُ غَضِّ بصره -خوفًا من الله، وحياءً منه- سوف يحفظ فَرْجه عمَّا حَرَّمه

الله عليه، ولا يقع فِي الفاحشة.

وقَدْ صحَّ عنه -عليه الصَّلاة والسَّلام- قوله: «**العينان تزنيان وزناهُما النَّظَر، والأذنان تزنيان وزناهما السَّماع**» إلَىٰ أن قال: «**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»(١).

ج- **الحصولُ علىٰ النَّسْل**: الَّذي هو لَبِنةٌ فِي بناء المجتمع، وسبب إكثار أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين.

ويزيد الأمر وُضُوحًا الحديث الَّذي رواه البخاريُّ فِي «صحيحه» عن عبد الله بن مسعودٍ، والَّذي يُخاطب فيه الرَّسول الكريم -عليه الصَّلاة والسَّلام- شباب المسلمين بذلك الأسلوب الرَّقيق؛ ليرشدهم إلَىٰ ما فيه صلاحهم ونَجاتهم، إذ يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا معشر الشَّباب، مَنِ استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنَّه أغضُّ للبصر وأحفظ للفرج، ومَنْ لَمْ يستطع فعليه بالصَّوْم فإنَّه له وجاءٌ**»(٢).

وعند البيهقيِّ من حديث أبِي أُمَامة: «**تزوَّجوا؛ فإنِّي مكاثرٌ بكم الأُمَم**»(٣).

وقَدْ تَقدَّمت بعضُ المعاني الَّتِي يُمكن أن تعدَّ من أهداف الزَّواج؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٧٨) من حديث أبي أُمَامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٩٤١).

كالهدوء وراحة النَّفْس مثلًا.

وقَدْ يُخطئ الَّذين يَظنُّون أنَّ الغرض من الزَّواج هو الحُصُول علىٰ اللَّذَّة والمتعة كيفما تَيسَّرت، وليس من وراء ذلك غرضٌ آخر، وهذا التَّصوُّر الخاطئ قَدْ أوقع كثيرًا من الشَّباب فِي مهالكَ خطيرةٍ، وسقوطٍ فِي الخُلُق والانحطاط، مِمَّا جعل حياةَ عديدٍ منهم فِي كثيرٍ من البلدان شبيهةً بحياة الحيوانات الَّتِي ليس عليها قلمُ التَّكْليف، بل هُمْ أضلُّ سبيلًا، وأسوأ حالًا.

ثم يتعرَّض لقضية مُهِمَّة تَشْغَلُ بَال الكَثير، وتَخَبَّط أكثرُ النَّاس فيها بين الإفراط والتفريط، وهي: مَن يَتولَّىٰ إدارة مؤسسة الأسرة؟، فيقول: «إنَّ الإسلام لَمْ يُهْمل إدارة هذه المُؤسَّسة وبيان مَنْ يرأسها، أو مَنْ أَوْلَىٰ النَّاس بتَحمُّل مسؤوليَّتها.

والَّذي يَتَّضح من دراسة الإسلام: أنَّ الاختصاصاتِ أو الصَّلاحيَّات مُوزَّعةٌ بَيْن الطَّرفين، والواجباتِ مُحدَّدةٌ، ولكلٍّ جانبٌ خاصٌّ هو مسؤولٌ عنه:

فللرَّجل اختصاصاتٌ لا تشاركه فيه المرأة، ولا تَقْوىٰ علىٰ الاضطلاع بِمَهمَّتها وسياستها، وللمرأة اختصاصاتٌ لا يصلح لَها الرَّجل، ولا يُحْسن القيام بِها.

فمحاولةُ أحد الطَّرفين التَّدخُّل فِي اختصاص الطَّرف الآخر يُعرِّض المُؤسَّسة للارتباك والاضطراب، ويُسْلمها للفوضىٰ.

فلنستمع إلَىٰ بعض الآيات القرآنيَّة وهي تُنظِّم حياة الأسرة، وتُحدِّد

المسؤوليَّات، فتُعْطي الرَّجلَ القَوَامةَ والإدارةَ، حيث يقول ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤].

فالآيةُ صريحةٌ فِي إعطاء الرَّجل إدارة المُؤسَّسة، والقَوَامة عليها كما ترىٰ، ولَمْ تُهْمل الآيةُ بيانَ السَّبَب، بل بَيَّنت، إذ يقول ﷻ: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾.

ثُمَّ إنَّه مِمَّا لا نزاع فيه أنَّ أيَّ مُؤسَّسةٍ أو شركةٍ إنَّما ينتخب لإدارتِها مَنْ لديه درايةٌ وخبرةٌ وقُوَّةٌ علىٰ الإدارة، وعلىٰ الصَّبْر علىٰ العمل، وحنكةٌ فِي سياسة طبيعة العمل.

ومُؤسَّسةُ الأسرة من أهمِّ المُؤسَّسات وأخطرها علىٰ الإطلاق، إذ بصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع؛ لأنَّها هي الَّتِي تُقدِّم للمجتمع أفرادًا هُمْ لَبِناتُ بناءِ المجتمع، والبناءُ إنَّما يكتسب صفاتِه من موادِّ البناء قُوَّةً وضعفًا.

لِهذا كلِّه حمَّل الإسلام الرَّجل هذه المَهمَّة، هي أمانةٌ ثقيلةٌ؛ لأنَّه أَلْيَق بِها وأقوىٰ علىٰ أدائها، والمرأةُ المنصفةُ تعترف بذلك....

ثُمَّ خَتَم مَبْحَثَه الجَليل هذا بِبَيَان عَظيم مَسؤولية المرأة في الأسرة؛ فقال: «إذا كان الرَّجل هو الَّذي كُلِّف ليُمثِّل سياسة الأسرة الخارجيَّة والاقتصاديَّة علىٰ ما وصفنا، فإنَّ المرأة هي المسؤولة عن إدارة الأسرة الدَّاخليَّة، تحفظ

بيتَ زوجها فِي حضوره وغيابه، وتَحفظ ماله، وتحفظ أولاده، وعليها تنظيم الْمَنْزل إِلَىٰ غير ذلك من الشُّؤون الْمَنْزليَّة.

ولِهذا كلِّه تَتمتَّع بكلِّ احترام وتقديرٍ من أفراد الأسرة طالما حافظت علىٰ مسؤوليَّاتِها الدَّاخليَّة، ولَمْ تَتطلَّع إِلَىٰ ما وراءها مِمَّا لا تستطيع القيام به من صَلاحيَّات الرَّجل»[(١)].

هذا وقد قام فَضِيلَةُ الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمْزان الهاجري بإلقاء مُحَاضرات تَنَاوَلَ فِيها «**هدي السَّلَف الصَّالح في تربية الأبناء**» رأينا أَنَّها مُفِيدة جِدًّا في هذا البَاب، وخاصة في هذه الأيام التي انتشرت فيها فتنُ الشَّهَوات والشُّبُهات، وقد أثرت تأثيرًا بالغًا علىٰ النشء المسلم، ثم رأينا إِتْمَامًا للفائدة إِتْبَاع هذه المُحَاضرات ببحث جَلِيلٍ لِفَضِيلة الشَّيْخ مُحَمَّد بن رَمْزَان الهَاجري، وهو بعنوان: «**أسباب جُنُوح الحَدَث**».

وقد قُمنا في دار «المنهاج» بإِعْدَادِ هذه المُحَاضَرَات وهذا البحث للنَّشر في هذا الكتاب بعد أَنْ عَرَضْناه علىٰ فضيلة الشَّيْخ محمد بن رَمْزَان الهَاجري حفظه الله؛ لمُرَاجعته، ليخرج في صُورةٍ طيِّبة نافعة، **وذَلِكَ وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْميَّة المَنْهجيَّة التَّالية:**

١- عَمَل إِعَادة صِيَاغة وهَيْكَلة لهذه المُحاضرات المَسْموعة، وتَحويلها إِلىٰ كتابٍ مَقروء، ومن ثم مُرَاجعتها مُرَاجِعة لُغوية دَقيقة.

---

(١) باختصار من «نظام الأسرة في الإسلام» (٢٣-٣٥)، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، دار المنهاج- مصر.

٢- إثباتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحَف الشَّريف.

٣- تَخْريجُ الأَحَاديث والآثار.

٤- عَمَل عَنْوَنة، وفهْرسة لمحتويات المُحَاضَرَات؛ ليَسْهلَ علىٰ القارئ الوُصُول إلىٰ بُغيته بِيُسرٍ.

٥- تَشْكِيل ما يُشْكِل من النَّصِّ، وعَمَل فقرات له، وإِخْضَاعه لِعَلَامات التَّرقيم، وتَنْسِيقُه حَسب أَسَاليب الطِّبَاعة الحَدِيثة.

٦- عمل مُقَدِّمة ذَكَرنا فيها أهميَّة التَّربية الصَّحِيحة، ولُزوم اهْتِمَام الأُسْرَة المُسْلِمَة بتنشئة أبنائها علىٰ حُبِّ اللهِ ﷻ ، وفِعْل ما يُرْضِيه، وعلىٰ حُبِّ رسولِه ﷺ، واتِّبَاعه في شَأْنِه كُلِّه، وذكرنا في المقدمة أيضًا المنهجَ المتبع في إعداد هذا الكتاب للنَّشر.

والله مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصلَّى اللهُ على نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ

قسم التحقيق والبحث العلمي
بـ "دار المنهاج"

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمْد لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا وسَيِّئات أَعْمالنا، مَنْ يَهْده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هاديَ له، وأَشْهد أَنْ لا إله إلَّا الله وَحْده لا شريكَ لَهُ، وأَشْهد أَنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ:

فلا شكَّ أنَّ الهديَ الصَّحيح هو أَنْ يتبع الإنسانُ ما كَانَ عليه السَّلف الصَّالح في كلِّ شيءٍ، والنَّبيُّ ﷺ ما تَرَكَ خيرًا إلَّا ودلَّ الأُمَّة عليه، وما ترك شرًّ إلَّا وحذَّرها منه[(١)].

---

(١) أخرج مسلم (١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنَّه لم يَكن نَبِيٌّ قَبلي إلَّا كان حَقًّا عليه أن يَدُلَّ أُمَّته علىٰ خَير ما يَعلمه لهم، ويُنذرهم شَرَّ ما يَعلمه لهم، وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعِل عَافِيتها في أَوَّلِها، وسَيُصيب آخرها بَلاء، وأُمور تُنْكرونها، وتَجيء فِتنةٌ فيُرقِّق بعضُها بعضًا، وتَجِيء الفِتنةُ فيَقول المُؤمن: هَذِه مُهْلِكَتي، ثم تَنكشف، وتَجِيء الفِتنةُ، فيَقول المُؤمن: هَذِه هَذِه، فَمَن أَحَبَّ أن يُزَحْزَح عَن النَّار، ويُدْخَل الجَنَّة، فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُه وهو يُؤمن بالله واليَوم الآخِر، وَلْيَأْتِ إلىٰ النَّاسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَىٰ إليه...»، الحديث.

وقد قام الأنبياءُ بذلك، وقيام النَّبيِّ ﷺ بهَذَا مشهودٌ إلىٰ يوم النَّاس، فقَدْ قَامَ بتَرْبيةِ الصَّحابة خير تربيةٍ، لم لا، وقد كان خُلُقه القرآن ﷺ، فمِنَ القرآن كان اقتباس تلك التَّربية الصَّحيحة(١).

وسنتناول في هَذِه الرسالة «**هَدْي السَّلَف الصَّالِح في تَرْبِية الأَبْنَاء**».

والهَدْي: هو الطَّريق.

والسَّلف: هم السَّلف الصَّالح السَّائرون عَلَىٰ هدي النَّبيِّ ﷺ؛ من الصَّحابة، ومَنْ بَعْدهم في التَّربية.

والتَّربيةُ: مجموعةٌ من السُّلوكيَّات والأخلاقيَّات.

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) أن عائشة رضي الله عنها سُئِلت: «يا أُمَّ المُؤمنين، أَنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ، قالت: «أَلَسْتَ تَقْرَأ القُرْآن؟». قلتُ: بَلَىٰ، قالت: «فَإِنَّ خُلُق نَبِيِّ الله ﷺ كَان القُرْآن».

أقسام التربية

لا شكَّ أنَّ الحديثَ في التَّربية يَطُول، وقد دُوِّنت فيه مُؤلَّفاتٌ، ولكن سنقتصر الحديث علىٰ ما يَتعلَّق بالتَّأسيس؛ لأنَّ التَّربيةَ منها ما هو تأسيسٌ، ومنها ما هو تصحيحٌ.

التَّربية بالتَّأسيس

فالتَّربية من حيث التَّأسيس؛ تعني: أن شخصًا لم يتزوَّجْ بعد يريد أن يُؤسِّس أسرةً صالحة، فعليه أن يستقيم الاستقامةَ الصَّالحة أوَّلًا في نفسِهِ.

والاستقامةُ: مجموعةٌ من الأقوال والأفعالِ التي يَسْلكها العبد ليصل بها إلىٰ مرضاة الله تبارك وتعالىٰ، وتشتمل علىٰ الاعتقاد، والعبادة، والأخلاق، والمُعَاملة، والسُّلوك.

وبها يَستقيم حالُ الإنسان، ثمَّ بعدها عليه أن يَقوم باختيارِ الزَّوجةِ الصَّالحة.

وهَذَا الاختيارُ سيكون له الأثر البالغ عليه، ثم عَلَىٰ الذُّريَّة من حيث التَّوجيه، ومن حيث الإصلاح.

إذًا، هناك ما يتعلَّق بالتَّربية، وسنأتي إلىٰ هَذَا بشيءٍ من التَّفصيل في التَّأسيس.

وهناك مَرحلة التَّصْحِيح؛ رَجُلٌ كَانت استقامتُه مُتَأخرة، وكان عنده ذُرِيَّة؛ فكيف يُصْلِح هذه الذُّرِيَّة، مع أنه لم يكن عنده اهتمام بها من البداية؛ فماذا يجب عليه أن يفعل الآن حتَّىٰ يَنقل هذه الذُّرِيَّة مِمَّا هي فيه إلىٰ ما يَجب أن تكون عليه؟

هذه أيضًا مسألة مهمة وهي من أكثر ما يُعَاني منها النَّاسُ.

وكذلك هناك مَحَاضن أُخرىٰ للتربية غير البَيت والأُسرة؛ كالمَدْرسة، والمسجد، والشَّارع، والمجتمع، والإعلام...

نماذج من تربية الأنبياء لأتباعهم:

ولو تَأمَّلنا في وَصَايا لقمان لابنه لَوَجدنا اهتمامًا بالغًا في أمر الاعتقاد؛ حيث قال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣].

وكذلك النَّبيُّ ﷺ في وَصيته لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١).

وأيضًا في وصيَّته ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه اهتمام بالعقيدة وبالأخلاقِ والسُّلوك: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٣٠٢).

بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[١].

وهكذا وَصَاياه ﷺ للأُمَّة في جانب الاعتقاد، فهَذِهِ الوصايا من حيث التَّربية لها أثرٌ كَبيرٌ.

وأيضًا كانَ النبيُّ ﷺ يَهتمُّ بتعليمِ أُمَّته العِبَادات؛ مِن صَلَاة، وصِيَام، ونحو ذلك.

ومن ذلك: تَعْلِيمه لابنِ عَبَّاس رضي الله عنهما، وهو في الصَّلاة؛ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «بِتُّ عند خَالَتي مَيمونة ليلة فقام النبي ﷺ مِن الليلِ، فَلَمَّا كان في بعضِ الليلِ قَامَ النَّبي ﷺ فَتَوَضَّأ مِن شَنٍّ مُعَلَّقٍ[٢] وُضوءًا خَفِيفًا، وقَامَ يُصَلِّي، فتوضأتُ نَحوًا مِمَّا تَوَضَّأ، ثم جئتُ، فقمتُ عَن يَسَاره، فَحَوَّلَني، فَجَعَلَني عن يَمِينه...»، الحديث[٣].

وهَذَا تعليمٌ منه ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، وهو في الصَّلاة.

نماذج من تربية الصحابة لأبنائهم:

وكذلك كان الصَّحَابة يُرَبُّون أبناءَهم، ويُعوِّدُونهم علىٰ الطَّاعات؛ تقول الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ: «أَرْسَلَ النَّبي ﷺ غَدَاةَ عَاشُوراء إلىٰ قُرَىٰ الأنصار: «**مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّة يومِه، ومَن أَصْبَح صَائِمًا فَلْيَصُم**». قَالت: فَكُنَّا نَصُومه بعدُ، ونُصَوِّم صِبْيَاننَا، ونَجعل لهم اللُّعْبَة مِن العِهْن؛ فَإِذا بَكَىٰ أحدُهم علىٰ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٥).
(٢) الشَّن: القِرْبة البالية المصنوعة من الجِلد.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٨).

الطَّعَام أَعْطيناه ذاك حتَّىٰ يكون عند الإفطار»[١].

فكانوا إذا جاءَ وقتُ الصِّيام يُعوِّدُون أولادهم عَليه؛ لأنَّ الصِّيام أعظمُ تعليمٍ عَلَىٰ الإخلاص والصِّدق مع الله.

وكَذَلك كان السلف يُعَلِّمُون أولادَهم العَقيدة، مثلما كان عَلِيُّ بن الحُسَين يُعَلِّم وَلَدَه يَقُول: «قُلْ: آمنتُ بالله، وكَفَرت بالطَّاغوت»[٢].

وكَانَ بَعْضهم يُنْطق وَلَدَه: قل: لا إله إلَّا الله، فهَذَا تعويدٌ لهم علىٰ أُمور الاعتقادِ، حَتَّىٰ يَتَحَقَّقوا بها.

لا كَمَا يقع من بعض النَّاس اليوم، حيث تجدُ الطِّفلَ الصَّغيرَ ينطقُ بألفاظٍ تُخَالف العقيدة؛ كالحَلِفِ بأبيه، أو بأُمِّه، أو سُؤال غَيْر الله؛ مثل ما يَقَع في بعض البوادي، أو في بعض النَّواحي، حيث إذا وقع سِنُّ الصَّغير قالوا له: ارْمِهِ إلىٰ الشَّمس، واسألها أن تُعطيك أَحْسَن منه؛ فيرميه الطِّفْلُ إلىٰ الشَّمسِ، ويسألها فيقول: هَذَا ضِرس حِمَارٍ، فأَعْطني ضِرس غزالٍ!

وهذا موجودٌ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله.

إذن يلزم التَّربية حتَّىٰ عَلَىٰ الألفاظِ التي يَنْطِقُون بِهَا.

تعليم النبي ﷺ الآداب لِصغار الأصحاب رضي الله عنهم:

وكذلك كان النَّبيُّ ﷺ يُعلِّمهم الآداب؛ كآداب الطَّعَام؛ فعن عُمر بن أبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٩)، ومسلم (٢٧٢٥). **والعهن**: الصُّوف المَصْبُوغ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٩).

سَلْمىٰ قال: «كُنتُ غُلامًا في حجر رَسول الله ﷺ، وكانت يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ! فقال لي رسول الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». فَمَا زَالَت تِلْكَ طُعْمَتِي بَعْدُ»[(١)].

هَذَا هو هدي النَّبيِّ ﷺ، تعليمٌ للصَّغير، وتعليمٌ للكبير.

هَذِهِ هي التَّربية الصَّحيحة.

وليستِ التَّربية أَنْ يكون المُربِّي مُطْعِمًا مُكْرِمًا أهله بالطَّعَام والشَّرَاب واللِّباس والمَسْكن فَقط، وإنَّما تكون أيضًا بتعليمُهُم وتعويدهم علىٰ العبادة؛ من صلاة وصوم، وغير ذلك، حتَّىٰ كان السَّلف يَصْحَبُون مَعَهم أولادهم الصِّغار إلىٰ صلاة الفَجر، وَيَحثُّونهم عَلَىٰ ذلك، بل ويُؤدِّبونهم عَلَىٰ ترك الصَّلاة.

بل إنَّ بَعْض السَّلف مَنْ كان يختار لأبنائِهِ مُربِّيًا، وكذلك كان يفعلُ ذلك بعض الأُمَراء إلىٰ وقت النَّاس هَذَا.

إذ يتَّخذون لأبنائهم مُربِّيًا صالحَ الاعتقاد، صالحَ السُّلوك، ذا علمٍ وحكمةٍ، حتَّىٰ يُخرِّجَ لهم جيلًا صالحًا؛ لأنَّ صغار اليوم هم كبار الغَد، وهكذا تستمرُّ الحياة، تذهب أجيالٌ، وتأتي أجيالٌ.

فإذا لم يهتمَّ الأبُ بالتَّنشئة الصَّحيحة، سواء في ابتداء الأمر في مرحلة التَّأسيس باختيار الزَّوجة التي لا بُدَّ أن تكون من حيث الأصل صالحةً مُتديِّنةً.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦١)، ومسلم (٥٣٨٨).

أمَّا إن كانت غير مُتديِّنة فَعَليه أن يَسْعىٰ في تَعْليمها التَّنسُّك، والعبادة، والصَّلاح، والمحافظة عَلَىٰ الأعمال الصَّالحة.

وبهَذَا تُعينه علىٰ تربية الأبناء، وتعليمهم فِعْل الخَير، وفِعْل الصَّلاح.

وكذلك ممَّا يتعلَّق بالتَّأسيس: الدُّعاء بالبركة عند جِمَاع الرَّجُل أهله، فيقول كما عَلَّمَه النَّبِيُّ ﷺ: «**بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَقُضِيَ بينهما وَلَدٌ لم يَضُرَّه**»(١).

كَذَلك أيضًا: تَعْوِيذ الأبناء ورُقيتهم؛ كَمَا كَانَ يَفْعل النَّبِيُّ ﷺ مع الحَسَن والحُسَين، وذلك كقولِهِ: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»(٢).

أيضًا الدُّعاء لهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤]؛ لأنَّه إذا قرَّت العينُ ارتاح البالُ، وقرارُ العين ألَّا يجد ما يسوؤه من اعتقادٍ، أو سُلُوكٍ، أو غير ذلك، فيُصبح قريرَ العين، مُرْتَاحًا.

أيضًا علىٰ الرَّجُل أن يَعتني بصَلَاح الأبناء، فيهتمُّ بأوَّل أبنائه؛ فيحاول قَدْر المستطاع أن يُؤسِّسه تأسيسًا صحيحًا؛ لأنَّه سيكون معينًا له بإذن الله - سواء كان ذكرًا، أو أنثىٰ- عَلَىٰ تربية بقيَّة إخوانه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٢).
«**والعين اللَامَّة**»: الحَاسِدة.

بل لرُبَّما كَفَاه في سفره؛ في ذهابه، وفي تَنقُّله؛ لأنَّ النَّاس اليوم قد انشغلت، سواء مَن يُظنُّ فيهم الخير والصَّلاح، أو مَنْ لا يَهتمُّون بمَوْضوع التَّربية أصلًا.

فلرُبَّما تجد الرَّجلَ وأهله مَشْغولين؛ الرَّجلُ مشغولٌ بأعماله، وبعد العمل في مصالحِهِ الخاصَّة؛ في السُّوق، أو في العَقَار، أو في الأسهم، أو في البيع والشِّراء، والزَّوجة في صباحها مشغولةٌ بالتَّدريس مثلًا، وفي مَسَائها مشغولةٌ أيضًا بمشاركاتٍ، أو بزيارات، أو بغير ذلك.

فإذا كان الحالُ كذلك؛ فمَنْ يُربِّي الأبناء؟!

حتىٰ وإنْ كان الأبُ مُستقيمًا؛ فستجده في وقت العمل في عملِهِ، ثمَّ يتنقل للدعوة، والمحاضرات، ويُسَافِر هنا وهناك.

فإذا كانت الزَّوجةُ لم تُؤسَّس، وكذلك الأبناء إذا تُرِكوا بدون توجيهٍ أو تعليمٍ، فمَنْ يُربِّيهم؟!

والجواب: يُرَبِّيهم الشَّارعُ، وما أدراك ما تربية الشَّارع هذه الأيَّام!

هذا مع أنَّ الشَّارعَ في عهد السَّلف الصَّالح كان يُربِّي تربية صحيحة مستقيمة ؛ إذ كانوا يهتمون بتوجيه الغلمان؛ فكانوا إذا رأوا أحدهم غافلًا عَلَّموه، ونَبَّهوه، وأنكروا عليه.

ومما يُذكر في ذلك أنَّ مجموعة من الغلمان كانوا في بستانٍ في عَهْد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلمَّا رأوه فرُّوا منه إلَّا أحدهم لم يفرَّ، فقال له عمر: ما الَّذي أتىٰ

بك إلىٰ هنا؟ فقال: أَلْتَقط الرُّطب. قال: أرني. قال: هو سَقْطٌ، أي: لم أَصْعَد النَّخْلةَ للإتيان به، بل هو ممَّا سَقَطَ عَلَىٰ الأرض بنفسِه، فرآه ممَّا قد سَقَط؛ فانصرف.

فقال الغلام: إنَّهم إن انصرفتَ أتوا إليَّ؛ فأخذوه منِّي، فَاصْحَبني إلىٰ أهلي، فصحبه إلىٰ أهلِهِ، وعلَّمه، ووَجَّهه.

ومرَّ ابنُ سيرين عَلَىٰ غلمةٍ في الشَّارع، فإذا بهم يلعبون بالجَوْز، قال: «لا تَلْعبوا به؛ إنَّما هو قمارٌ».

وقد أدركنا إلىٰ عهدٍ قريبٍ أنَّ الكبار كانوا يمرون علىٰ الأطفال؛ فكأنه أبو الجميع؛ فيتكلَّم بلسان الوالد؛ يُنبِّه، ويُحذِّر، ويُنْكر.

بل كان التلميذُ إذا رأىٰ مُعلِّمَه لَاذَ بالجانب الآخر من الطَّريق احترامًا له.

الآن يُخْشىٰ علىٰ الطِّفل أن يَخرج للشَّارع؛ لما في الشَّارع من منكراتٍ، سواء كان ذلك من أصحاب المُخدِّرات، أو من أهل التَّدخين، أو غير ذلك، فأصبح الشَّارع سببًا لانحراف الأبناء في كثيرٍ من الأُمُور، فإذا انْشغَل عنهم الآباء؛ فمَنْ يتولَّاهم؟!

كَذَلك المدرسة لها دورٌ كبيرٌ في جانب التَّربية، وصلاح الطُّلَّاب، فلرُبَّما فساد المُعلِّم يُؤثِّر عَلَىٰ الطُّلَّاب، وهَذَا الفساد بنوعيه سواء كان من أصحاب الشَّهوات، أو من أصحاب الشُّبهات.

أَثَر الصَّاحب على صاحبه:

كذلك ممَّا يُؤثِّر عَلَىٰ النَّشء والجيل: الصَّاحب.

فالصَّاحب السَّيِّئ له أثرٌ، وليس بالضَّرورة أن يكون صاحب السُّوء هو حليقُ اللِّحية، أو شارب الدُّخان، فهَذَا لا شكَّ أنَّه يُؤثِّر علىٰ الغلام في فساد أخلاقِهِ، لكن هناك أيضًا صاحبُ سوءٍ قد يُؤثِّر عليه في جانب عبادتِهِ وعقيدتِهِ؛ كأصحاب التَّكفير، أو البدع؛ من الفِرَقِ والجَمَاعات المُنْحَرِفة.

فعندما ترىٰ أنَّ الابن قَدْ ظهر عليه شيءٌ من التَّنسُّك والصَّلاح، فَاسْأَله: مَنْ تَصْحب؟ ولا تَدَعه يخرج إلىٰ الخَلَوات والاستراحات، فيكون فيها مَا يُسِيءُ.

بل إنَّ بعضَ السَّلف كان يقول لأحد أبنائِهِ: «لأَنْ أراك تخرج من حانةٍ- أي: خمَّارةٍ- أهون من أن تخرج من عند فلانٍ»، وكان عَلَىٰ عقيدة القدريَّة.

فكانوا يَخَافون عَلَىٰ الأبناء من الانحراف في العقيدة؛ لِمَا له من خطورةٍ.

وليس معنىٰ هَذَا: أن يَتَساهل الوالد مع ابنه في الجانب الآخر- جانب الشَّهوات.

ولكن بالمقارنة بين الأمرين؛ فجانب الشهوات أخفُّ خطورة؛ لأنَّ صاحبَ الشَّهوات يُمَارسها، ويَعْرف أنَّها شهواتٌ، لكن صاحب الشُّبهة يُمَارس الشُّبهة وهو يَتقرَّب بها إلىٰ الله؛ فكيف يَتوبُ ممَّا يجزم أنَّه يُقرِّبه إلىٰ الله؟!

لذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

﴿ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤].

فلا شكَّ أنَّ مسألةَ التَّربية في هَذَا الجانب خطيرةٌ جدًّا؛ لأن الصَّاحبُ له أثرٌ كبير عللا صاحبه، كما قيل: «إنَّ الصَّاحبَ ساحبٌ».

فإذا كان الابنُ مَعَ أصحابٍ له عَلَىٰ صلاحٍ وهُدىٰ، وكانوا ممَّن يسيرون عَلَىٰ هَدْي السَّلف الصَّالح، فَارْجُ له الخير؛ قال عمرو بن قَيس المُلَائي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنشأ مع أهل السُّنَّة والجَمَاعَة فَارْجُه، وإذا رأيتَه مع أهل البِدع، فايْئس منه، فإنَّ الشَّابَّ علىٰ أَوَّل نُشُوئه»(١).

وقال ابْنُ شَوْذَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ مِن نِعمةِ الله عَلَىٰ الشَّابِّ إِذَا تَنَسَّك أن يُوَاخِي صَاحِبَ سُنَّة يَحْمِله عليها».

وعنه مِن طَرِيقٍ: «مِن نِعْمَةِ الله علىٰ الشَّابِّ والأَعْجَمي إذا نَسَكا أن يُوفَّقَا لصاحبِ سُنَّة يَحملهما عليها؛ لأنَّ الأَعجميَّ يَأخذ فيه ما سَبَق إليه»(٢).

وكان السَّلَفُ لهم عنايةٌ بِمَسألة تَنْشئة الجيل، بل إنَّهم كانوا يحرصون أشدَّ الحرص عَلَىٰ مَنْ يَصْحب الأبناء، فهَلْ نحن بهَذَا الحرصِ؟ بحيث نَعْتني بمَنْ يَصْحب الأبناء؟

هَذِهِ المسألةُ مُهمَّةٌ، وليس هَذَا من باب الرِّقابة الشَّديدة، بحيث يَشْعر الابنُ أنَّه من كلِّ جانبٍ مراقبٌ، ولكن المَطلوب المُتَابعة؛ وسؤال الابن: مع مَنْ خرجتَ؟ وأين خرجتَ؟ ولماذا خرجتَ؟، وهكذا.

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢٠٥).
(٢) أخرجه ابن بطة «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢٠٤).

كذلك أيضًا من وَسَائل التَّربية: الإنكار:

فكَانَ السَّلفُ يُنْكرون ما يَرونه منكرًا.

والنَّبيُّ ﷺ أَنْكر عَلَىٰ الحَسَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أَكَل تَمرةً، وكانت من تَمْر الصَّدقة، وقال له: «**كِخْ كِخْ**»(١).

وهَذَه الكلمة تستعمل إلىٰ الآن، وجارية علىٰ الألسنة عن الإنكار: «كِخْ»، وتفيد النَّهر والزَّجر عن فعل مُعين.

فقد نهاه ﷺ عن أَكْل تمر الصَّدقة؛ لأنَّه ممَّا لا يَحلُّ لأهل البيت، فقال له: «**كِخْ**»، أي: أَخْرج ما قَدْ تناولتَ، فهَذَا إنكارٌ له، وتعليمٌ في مسألة المَطْعوم.

لذَلِكَ، يَلْزمنا أن نَعْتني أشدَّ العناية بما يَتناولُهُ الأبناء من مَطْعومٍ، أو مشروبٍ؛ لأنَّ هَذَا له أثرٌ، فهَذَا الجسم الَّذي قَدْ نَمَا إنْ نَمَا عَلَىٰ حلالٍ، لا شكَّ سيُرْجىٰ له الخير، لكن إنْ نَمَا عَلَىٰ حرامٍ فالنَّار أَوْلىٰ به؛ نسأل اللهَ السَّلامة والعافية من كلِّ سوءٍ.

وقَدْ أمرنا الله ﷻ بالوقاية من النَّار؛ فَقَال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وهَذِهِ الوقايةُ تعني مَنْعهم من الوُقُوع فيما يُغْضب الله؛ سواء كان شركًا، أو بدعًا، أو مُحرَّماتٍ، أو مخالفاتٍ.

وفي المُقَابل تُوجب أن يُحَبِّب الأبُ أبناءَه يُحَبِّب في التَّوحيد والسُّنَّة،

(١) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحلال، والقيام بالطَّاعات.

فإذا اعتنىٰ بهم في هَذَا الجانب، فلا شكَّ أنَّه سيَسْعىٰ في سلامة نفسِهِ، وسلامة ذُرِّيَّته.

وقد اعتنىٰ الأنبياءِ بهذا الجانب أشدَّ العناية، مع أنَّهم قد قاموا بالتَّربية الصَّحيحة.

فهَذَا إبراهيمُ عليه السلام الَّذي كَسَر الأصنام، وفعلَ الأُمُور الَّتي حاربه عليها قومُهُ أشدَّ المحاربة، حتَّىٰ لدرجة أنَّهم أَضْرَموا النَّار لإحراقه- كان صامدًا في دعوتِهِ إلىٰ التَّوحيد.

وعلىٰ الرغْم من أنَّ أبناءه كانوا أنبياء- إلا أنه كان يدعو ربَّه أن يُجَنِّبه وأبناءه الشِّرك؛ لخوفه من ذلك؛ كما في قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥].

وعن مُغيرة قال: «كان إبراهيمُ التيميُّ يَقُصُّ، ويَقول في قَصَصه: مَن يَأْمَن مِن البَلاءِ بعد خَليل اللهِ إبرَاهيم حين يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾»[(١)].

فلذلك، تجد كثيرًا من النَّاس الآن يَتهَاونون في الأُمُور والوَسَائل المُوصلة إلىٰ الشِّرك بدَعْوىٰ أنَّهم يعرفون الحُكْمَ.

والآن قد انْتشَرَت كثيرٌ من الوسائل الَّتي قَدْ توصل إلىٰ الشِّرك؛ من

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٧).

الصُّور، وتعظيمها، وأوَّل فتنة عبادة الأصنام كانت في التَّصاوير والصُّور.

وهي أوَّل ما وقع في الانحراف والغُلوِّ عن الطريق المستقيم؛ قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ؛ أما وَدٌّ كانت لِكَلْب بدومة الجَنْدل، وأما سُوَاعٌ كانت لِهُذيل، وأمَّا يَغُوث فكانت لِمُرَاد، ثم لِبَني غُطَيف بالجَوْف، عند سَبَإٍ، وأمَّا يَعُوق فكانت لِهَمَدان، وأمَّا نَسْرٌ فَكَانت لِحِمْير لآل ذِي الكُلَاع؛ أَسْمَاء رِجال صَالحين مِن قوم نوح، فلما هلكوا أَوْحَىٰ الشَّيطان إلىٰ قَوْمهم: أَن انْصِبُوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يَجلسون أَنْصَابًا، وسَمُّوها بأسمائهم، فَفَعلوا، فلم تُعْبَد، حتَّىٰ إذا هَلَك أولئك، وتَنَسَّخَ العِلمُ عُبِدَت»[(١)].

لذلك كانت هذه مَسَائل مُهمَّة اعتنىٰ بها السَّلَفُ أشدَّ العِنَاية.

أهمية الترفيه في التربية:

كذلك ممَّا كانوا يعتنون به: مسألة التَّرفيه؛ والمقصود به: التَّرفيه المُبَاح الَّذي ليس فيه مُحرَّمٌ؛ والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قد تزوَّج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي صغيرةٌ، فكان ممَّا أَذِنَ لها في أُمُورٍ مَارَستها، ولم يُنكر عليها: لَعِبها بالعِهْنِ؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قَدِمَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن غَزوة تبوك، أو خَيْبر، وفي سَهْوَتِها سِتر[(٢)]، فَهَبَّت رِيحٌ، فَكَشَفت ناحية السِّتر عن بَنَاتٍ لِعَائشةَ لُعَب، فقال: «**مَا هَذَا يا عَائشةُ؟**» قالت: بَنَاتي، ورأىٰ بَينهن فَرَسًا له جَنَاحان مِن رِقَاع، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) **السَّهوة**: شبيهة بالرَّف، أو بالطاق يُوضع عليه الشيء.

«**مَا هَذَا الذي أَرَىٰ وَسَطَهُنَّ؟**». قالت: فَرَسٌ، قال: «**وَمَا هَذا الذي عَلَيه؟**» قالت: جَنَاحان، قال: «**فَرَسٌ له جَنَاحَان؟!**» قالت: أَمَا سَمِعْتَ أنَّ لِسُليمان خيلًا لها أَجْنَحة؟ قالت: فَضَحِكَ حتَّىٰ رأيتَ نَوَاجِذَه»[(١)]، وأيضًا كانت لها جاريتان تَلْعبان معها[(٢)].

ولذلك يَقُولُ إبراهيم النخعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا يُرخِّصون في الألعاب إلَّا في الكلاب».

ونَبَّه عَلَىٰ ذلك الشَّيخ مُحمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «لأنَّ هَذَا الجانبَ كانوا ممَّا يَتسَاهلون فيه (أي: جانب الصغار)؛ لأنَّهم جُبِلُوا عَلَىٰ حبِّ اللعب».

وفي الحقيقة: الصَّغير لا بُدَّ أن يُشغَل، فإذا لم يُشغل بنافع فَسَينشغل بفاسدٍ.

والأسواقُ مَليئةٌ بالألعاب؛ منها ما فيه إزعاجٌ، ومنها ما يَسْتفيد منها الأبناء من ألعابِ الذَّكاء، وغَيْر ذلك.

والولدُ طاقةٌ، إنْ لم يُستغل فيما فيه صلاحٌ، فَسيُستغلُّ فيما فَسَادٌ.

وهَكَذا، فمسألة اللعب ومسألة التَّرفيه لا يُحْجر علىٰ الأبناء فيها، إذا لم تشتمل علىٰ مُحرَّمٌ في الشَّرع من حيث أصله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٢٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

التربية بالقدوة:

وكَذَلك فيما يتعلَّق بجانب التَّربية -وهو أهمُّ شيءٍ-: القدوة.

فالقدوة تعتبر بالنِّسبة للمُتربِّي العاملَ الأساسيَّ الأوَّل؛ لأنَّه يتأثَّر بغيره، والنَّبيُّ ﷺ هو القُدوة الصالحة؛ قال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١].

ولو تَأمَّلنا حالَ الصَّحابة رضي الله عنهم لوَجَدنا عندهم التَّفصيل الدَّقيق في هَدْي النَّبيِّ ﷺ، في أفعالِهِ، وفي أقوالِهِ، وفي عبادتِهِ، وفي مغازيه، وفي سيره، وفي كلِّ شأنِهِ ﷺ.

هَذَا الاهتمام يدلُّ دلالة واضحة عَلَىٰ العناية الشَّديدة باقتفاء أثر النَّبيِّ ﷺ، فهُوَ القدوة الصَّالحة والأُسوة الحَسَنة والمَثَل الأَعْلىٰ ﷺ.

وابنك يَرَاك ويرىٰ ما فيك، فالحَسَنُ عنده ما فعلتَ، والقبيحُ عنده ما تركتَ.

وهكذا إمامُ المَسْجد، والمُدرِّس؛ لأنَّ المسجد كما يُقَال في العبارات العصريَّة: مَحْضنٌ من مَحَاضن التَّربية، وكذلك المَدرسة أيضًا محضنٌ من محاضن التَّربية، كذلك الشَّارع يعتبر مَحْضِنًا من مَحَاضن التَّربية؛ سواء إيجابًا، أو سلبًا.

والإعلام كذلك مُوجِّهٌ في التَّربية.

فالابن يُحَاكي هَذَا القدوة؛ سواء كان الأب، أو سواء كان المُدرِّس، أو

سواء كان إمام المسجد، أو سواء كان طالب العلم.

والأولادُ ترىٰ هَذِهِ الأفعالَ، وترىٰ هَذِهِ الأقوالَ، وهي تَقْتبس، وتُحَاكي، وتُجَاري، وتُطبِّق، بل رُبَّما قيل: لَوْ كان في هَذَا ملاحظةٌ لَمَا فعله أبي، أو لَمَا فَعَله الأستاذ، أو لَمَا فَعَله الإمام، أو لَمَا فَعَله فلانٌ المعروف بالصَّلاح الَّذي يَغْشىٰ منازلنا.

أيضًا كبيرُ السِّنِّ يُعتبر قدوةً لأبناء الحارة والمَحِلَّة.

لذلك هَذَا الجانبُ جانبٌ خطيرٌ جدًّا إذا لم يُرَاقب الإنسانُ أقوالَهُ وأفعالَهُ أمام النَّاشئة؛ لأنَّ هَذَا الجيلَ ليس له تلقٍّ إلَّا هذا الطَّريق، وهو عَلَىٰ الفطرة، كَمَا قَالَ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١).

فما قال: يسلِّمانه؛ لأنَّ الفطرةَ هي الإسلام، ولكن هَذِهِ الفطرة بحاجةٍ إلىٰ مادَّة تربيةٍ وتقويةٍ، وهي العلمُ النَّافع، والعملُ الصَّالحُ، فلا اقتباس له لهَذَا إلَّا عن طريق متلقًّىٰ عنه، وهو الأب، أو الأم، أو المُعلِّم، أو مَنْ يُعتبر قدوةً، بل حتَّىٰ الأخ الأكبر يُعْتبر قدوةً، لذلك ذكرنا في بداية الحديث العناية بالولد الأكبر أوَّل مولودٍ، وأوَّل مَوْلودٍ ليس هناك مَنْ يُزَاحمه، لذلك يُعْتنىٰ به، مع أنَّ المُلَاحظ أنَّ أوَّل مولودٍ يَنبغي أن يُعْتنىٰ به، وهَذَا بالنِّسبة لمَنْ نُخَاطبهم في مسألة التَّأسيس بخلاف مسألة التَّصحيح الَّتي سيأتي الحديث عنها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمَرْحلة التَّأسيس هَذِهِ بالنِّسبة للَّذي لم يَتزوَّج، ولم يأتِ عنده أبناءٌ، يَنْبغي أن يَعْتني بالكبير من أبنائِهِ، ابنك الكبير أوَّل ما يُولَد لا بُدَّ أن تعتني به أشدَّ العناية؛ لأنَّه سيكفيك أشياءَ كثيرةً؛ سواء كان ذكرًا، أو أنثىٰ، سيَكْفيك في الكبر وسيتولىٰ الآخرين في التَّوجيه والتَّربية؛ لأنَّهم يَرَونه قدوةً.

التربية بالعقاب والإنكار:

أيضًا ممَّا يتعلَّق بالتَّربية: مَسْأَلة الجَزَاء، والعَطَاء، والعُقوبة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيث يَرَاه أهلُ البَيْتِ**»(١).

فهَذَا يَبْعث عَلَىٰ أن يترك الإنسانُ المُخَالفة حتَّىٰ لا يقعَ تحت طائلة العِقاب، ولذلك هَذَا يعدُّ من وسائل التَّربية.

فالَّذي لا يُصلِّي بعد تجاوزه العاشرة حقُّه الضَّرب، فالنَّبيُّ ﷺ دلَّ عَلَىٰ التَّوجيه بالأمر بالصَّلاة لسبع سنين؛ لأنَّ مَنْ هو دون السَّبع لا يُؤمَر، لكن إنْ حَاكَىٰ أو جَارَىٰ لا بأس، فيُتْركه الأب ليُصلِّي بجواره، لكن لا يأمره، الأمر يبدأ من سِنِّ السَّابعة؛ كما قال ﷺ: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ**»(٢).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩/ ٤٤٧) (١٧٩٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٨٤) (١٠٦٩١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٨٧) (٦٧٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧/ ١٩٠).

كم سَنَة وهو يُؤمَر؟ ثلاث سَنين، إذًا، كم أُمِر فيها بالصَّلاة؟

خمسة أوامر كلَّ يومٍ، فيكون في السَّنة ١٨٠٠ أمرٍ تقريبًا، وفي خلال ثلاث سنواتٍ تقريبًا ٥٠٠٠ أمرٍ.

خمسة آلاف أمرٍ كاملةً لو طَبَّقناها ما احتجنا لضربِ الطفل أبدًا، لكن هل فعلًا أَمَرناه خمسة آلاف أمرٍ، هل فعلًا من سبع سنين نَحْن نوجِّهه، ونأخذ بهَذَا الهَدْي النَّبويِّ معه، فنأمر: صلِّ، صلِّ، صلِّ؛ خمسة آلاف مرَّةٍ، فالحَجَر -وهو صلب- لو نَقَّطت عليه كلَّ يومٍ نقطةً لتأثَّر، بل لحَفَرته.

ولكن، لَوْ جعلت عَلَىٰ هَذَا الحَجَر حاجزًا يَحجز الماءَ، ما حفر فيه أبدًا. وهَذَا التَّشبيه ذَكَره بعضُ السَّلف، وكَذَلك ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّ الأمرَ مع التَّكرار يُبْقي أثرًا قويًّا، فبعد هَذِهِ الأوامر يستحقُّ الابن إذا بلغ العَشْر أن يُضْربَ ضربًا غير مُبرِّحٍ، كَمَا كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عُمَّالِهِ ألَّا يَضْربوا الغلمانَ بما يزيد عَلَىٰ ثلاثٍ، حتَّىٰ لا يُخِيفهم؛ لأنَّه سيكون له إرهابٌ، يَعْني حتىٰ لا تصبح هَذِهِ العقوبة الَّتي سيتلقَّاها شيئًا مُفزعًا، فيبدأ يَسْتجيب خشية العقاب، ولا يستجيب عن طريق الاقتناع، لكن خمسة آلاف أمرٍ كفيلةٌ بأَنْ تجعله يقوم مِن نفسه مُستجيبًا مستقيمًا.

كذلك غير الصَّلاة من العبادات يُحَثُّ عليها، ويُؤدَّب عليها، بل يُؤمَر بها؛ فالنَّبيُّ ﷺ يحثُّ ويُوجِّه الغلام معه عَلَىٰ الطَّعام، فيقول له: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ،**

وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[١].

وأنت أحيانًا ترىٰ ابنك يأكل بشمالِهِ، وأحيانًا يأكل من أمام إخوانِهِ، وأحيانًا تراه يأكل مِن وَسَط القَصْعة، وأحيانًا لا يُسمِّي الله، ولا تُوَجِّهه، فهَذَا سيشاركه الشَّيطان طعامه، وسيشارك الجميع في الطَّعام، فعَلَىٰ المُربِّي أَنْ يُعلِّم الابنَ التَّعليمَ الصَّحيحَ.

ومسألةُ العقاب موضوعٌ يطول، لكن لا يكون دائمًا العقابُ عقابًا بدنيًّا، ضربٌ وفقط، بل يكون العقابُ بالتَّوجيه بالكلمة، إذ كان النَّبيُّ ﷺ يُربِّي أصحابه بالتَّوجيه، فقال: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ!»[٢]، فمَا تَركَ عبدُ الله بن عمر رضي الله عنه قِيَامَ الليل بعد هذه الكلمة.

وهَذه هي التَّربية؛ أَنْ يُربَّىٰ الجيلُ تربيةً صالحةً بالَّتي هي أحسن، بالَّتي هي أقومُ، وأَلَّا يكون في ذلك تعنيفٌ، أو احتقارٌ، أو ازدراءٌ، أو إسكات له أمام الحاضرين، فإِنْ قالَ الطِّفْلُ شَيئًا لا يَصِحُّ أو لا يَلِيقُ؛ فعلىٰ المُرَبِّي أن يُنبِّهه وأن يُقَوِّمَه، كما كان النَّبيُّ ﷺ يَفْعل مع الصَّحابة إذا أخطأوا في الألفاظ؛ فعن أبي وَاقِد اللَّيْثي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا خَرَجَ إلىٰ حُنين مَرَّ بشجرةٍ للمُشركين، يُقَال لها: ذَات أَنْوَاط؛ يُعَلِّقُون عليها أَسْلِحَتَهم، فقالوا: يا رسول الله، اجْعَل لَنا ذَاتَ أَنْوَاط، كَما لَهُم ذَاتَ أَنْوَاط، فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف:١٣٨]،

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والَّذِي نَفْسِي بيدِه لَتَرْكَبُنَّ سُنَّة مَن كَان قَبْلَكم»[١]، فأَنْكرَ ﷺ عليهم قولهم هذا.

وعن قُتَيلة؛ امرأةٍ مِن جُهينة: أن يهوديًّا أَتَىٰ النَّبِي ﷺ فقال: إِنَّكم تُنَدِّدُون، وإِنَّكم تُشْرِكُون تَقولون: مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ، وتقولون: والكَعْبَةِ، فَأَمَرَهم النبيُّ ﷺ إِذَا أَرَادوا أن يَحْلِفُوا أن يقولوا: ورَبِّ الكَعْبَة، ويَقولون: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ»[٢].

وعن جَابر رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ ﷺ، فَكَلَّمَه، فقال: مَا شاء اللهُ، يعني: وشِئْتَ، فقال: «**وَيْلَكَ؛ أَجَعَلْتَنِي واللهَ عَدْلًا؟ قُل: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَه**»[٣].

وقام خطيبٌ بين يديه ﷺ فقال: «مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فقد رَشَدَ، وَمن يَعْصِهِما فقد غَوَىٰ»، قال: «**بِئسَ الخَطِيبُ أَنْتَ! قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسُولَه؟**»[٤].

فكان النَّبيُّ ﷺ يُنكر عَلَيهم الخطأ، ويُعَلِّمهم الصَّوَاب.

إذًا، هَذَا الإنكارُ يَكُون في مَسْألة الاعتقاد، وفي مَسْألة الأَخْلاق

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٠٨).
و«**ذاتَ أَنْواط**»: هي اسمُ شَجرةٍ بِعَينها كانت للمُشركين يَنُوطون بها سِلاحَهم: أي: يُعَلِّقونه بها، ويَعْكُفون حَوْلَهَا؛ فَسَألوه أن يَجْعل لهم مِثْلَها، فنَهاهم عن ذلك. «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة (نوط).

(٢) أخرجه النسائي (٣٧٧٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٦٢) (١٠٧٥٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٣).

(٤) أخرجه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

والمُعَاملات والسُّلُوك، كإنكاره ﷺ علىٰ الرَّجل الَّذي بَالَ في المسجد؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نَحن في المَسْجد مَع رسولِ الله ﷺ إذ جَاء أَعْرَابِيٌّ، فَقَام يَبُول في المَسْجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ، مَهْ! قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزْرِمُوه؛ دَعُوهُ!**». فتركوه حتَّىٰ بَالَ، ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ دَعَاه، فَقال له: «**إِنَّ هَذِه المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيء مِن هَذَا البَوْلِ، وَلَا القَذَر؛ إِنَّما هِي لِذِكْر اللهِ عز وجل، والصَّلَاة، وقِرَاءة القُرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فَأَمَر رجلًا مِن القَوْم فَجَاء بِدَلْو مِن مَاءٍ، فَشَنَّه عَليه»[(١)].

إذًا، هَذِهِ المسائلُ كلُّها تربيةٌ.

فتربية التَّأسيس يَتولَّاها المُربِّي مع الطِّفل الصَّغير منذ أن يُولَد إلىٰ أَنْ يصبحَ رجلًا.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥).

تربية التصحيح

أمَّا تربية التَّصحيح، فهِيَ مُشْكِلةٌ، ولَيْس بالإمكان حلُّ هَذِهِ المشكلة بسهولةٍ؛ لأنَّ المُربِّي قد استوىٰ عُودُهُ، وأصبح كبيرًا؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ استقامته تَتأخَّر، فيَستقيم عن كِبَرٍ، فيبدأ بالاهتمام بأولاده، والعمل علىٰ إصلاحهم بعد أن صاروا كبارًا، وهنا لا بُدَّ أَنْ يأخذ هؤلاء الآباء بأعظم جانبٍ، وهو القدوةُ والصَّلاح، أي: أَنْ يَعتني بإصلاح نفسِهِ، ثُمَّ بالتَّدرج مع أبنائه.

فإذا وقع من أحدهم خطأٌ، فلا يُوَافقه عَلَيه إذا فَعَله، ويحَاوِل قَدْر المُسْتطاع أن يُنَبِّهه.

ومن الخطأ الآن أنَّه إذا جاء الابن إلىٰ المجلس داخلًا، يقول له الأب: اذْهَبْ وادخل البيتَ!

إذًا، أنت الآن أخرجتَهُ من المجلس، فَمِمَّنْ سَيتعلَّم؟!

أو إذا ذهبت إلىٰ مجالس العُلَماء للمحاضرات لا تأخذُهُ معك، فمتىٰ تريدُهُ أن يتعلَّم الصَّلاح؟

ثـمرات التربية بالتأسيس والتصحيح

قد كان السَّلفُ يَعْتنون بأبنائهم الصِّغار، بل لرُبَّما أحضروه صغيرًا للسَّماع، فيَأْخذون له إجازةً، وذَكَروا في ذلك مسألة: هل المُميِّز يَتحمَّل الرِّواية أو لا؟ وذَكَروا تَحمُّل ابْن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهكذا.

إذن يَنْبغي أن يَعتني كلٌّ مِنَّا بأبنائِهِ؛ لماذا لا تأتي بهم إلىٰ مجالسَ العِلْم، ومَجَالس الخير؟

بَلْ إن بعض الآباء أحيانًا لا يأتي بأبنائه إلىٰ صلاة الجمعة؛ لماذا؟

لرُبَّما تجده صالحًا في نفسِهِ، لكن لا يهتمُّ بصلاح أبنائه، وهَذِهِ مشكلةٌ.

وقَدْ لا تكون عالمًا، وقَدْ لا تكون كَاتبًا، لكن إذا تركت ذُرِّيَّتك صالحة؛ فسيكون لها الأثر مِن بعدك، كما قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَنه عَمَلُه إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِية، أَوْ عِلم يُنْتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ لِسَان الخَلِيل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم:٣٥]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم:٤٠].

وَقَالَ ﷻ في دعوة عِبَاد الرَّحْمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان:٧٤].

إذًا، العنايةُ بالذُّريَّة أمرٌ اهتمَّ به الأنبياءُ والرُّسل، وكانوا يأمرون بهَذَا، ويَدلُّون عَلَيه؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٣٢]؛ لذلك يَقُولُ أَهْل العلم: إنَّ أَصْل هَذِهِ الكلمة ثلاثيَّة (صَبَرَ)، لكن زيد عَلَىٰ المبنىٰ؛ لأنَّ هناك زيادةً في المعنىٰ، والزِّيادة في المعنىٰ أنَّ الصَّبر بحاجةٍ لزيادةِ مجاهدةٍ.

فأمر الأبناء بالصَّلاة يَحتاج إلىٰ مُجَاهدة، ومَزِيد صَبْر عليهم؛ فتُوقظهم، وتأخذهم إلىٰ المسجد، والَّذي لا يعرف الوضوء أو الصلاة تعلِّمه، وهكذا.

والآن مَنْ جَلَس منَّا مع أبنائه، ثمَّ أتىٰ بإناءٍ فتَوضَّأ أمامهم، فقال: هَذَا هو الوُضُوء الصَّحيح؟ مَنْ فَعَل هذا؟

كَانَ السَّلفُ يَفْعلون هذا، أتىٰ عليُّ بن أبي طالبٍ، فنَادَىٰ: «الصَّلاة جامعة»، فاجتمع النَّاس عليه، فتَوضَّأ أمامهم، ثم قال: «هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضَّأ، إنَّما جَمَعتكم كي تَعْلموا: كيف كان يَتوضَّأ ﷺ؟».

أيضًا، مَنْ منَّا أتىٰ بأبنائِهِ فصلَّىٰ أمامهم، وقال: هَذِهِ هي الصَّلاة الصَّحيحة!

والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١).

فكَانَ هَدْي السَّلف هو التَّعليمُ، والتَّصحيحُ، والتَّقويمُ، يَعْملونَ هَذِهِ الأعمال حتَّىٰ يُصبحَ هَذَا الابنُ قائمًا بالعَمَل الصَّحيح عَلَىٰ الوجه الصَّحيح المرضيِّ.

إذًا، عَلَىٰ المُربِّي أن يهتمَّ بهَذِهِ الأُمُور كلِّها، ويُصحِّحها في نفس المُتَربِّي.

الآن لو تَساءلنا: ما حصيلةُ استفادة الأبناء من الآباء؟ لوجدت الاعتمادَ الكُليَّ عَلَىٰ المدرسة، ثمَّ ترىٰ الأب يعجب من هَذَا الابن عندما يتكلَّم بكلامٍ مخالفٍ، من أين له هذا؟

الجواب: إنَّ السَّبب هو ممَّا تلقَّاه من مَصَادر التَّلقِّي، سواء من الشَّارع، أو من المدرسة، أو من الإعلام، أو من الصَّاحب.

فالابْنُ عنده عدَّة مَصَادر للتَّلقِّي، ليس أنت فقط مصدره، إلَّا أن تَجْعله في المنزل، وتُغْلِق عليه، وهَذَا لا يمكن؛ لأنَّ الحلَّ هو التَّحصين الأوليُّ، فيكون الابن محميًّا، فالتَّحصينُ الأوليُّ بمثابة جرعةٍ تناولها هَذَا الابنُ في البيت، وذلك بأَنْ تُحذِّره من المُخَالَفة، وأَنْ تُحذِّره من البدعة، وأَنْ تُحذِّره من الشِّرك، وأَنْ تُحذِّره من الأخلاق السَّيِّئة، فَقَد انْتشَرَ في كثيرٍ من الشَّباب المُحرَّمات؛ من المُخدِّرات والخُمُور، وأيضًا الأُمُور الأخلاقيَّة؛ كاللِّواط والزِّنا، فهَذِهِ المُنْكرات انتشرت بَيْنَ الشَّباب، والعياذ بالله، لماذا؟

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦٥٨) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١٦٥٦).

والجواب: لفقدهم التربية، فهَلْ فعلًا هؤلاء اعْتنَىٰ بهم الآباءُ؟ لَوْ كان كذلك ما آلت النَّتيجة إلىٰ ذلك، لكن التَّفريط في جانب التَّربية، وعَدَم الاهتمام بِهِ أنتج هَذِهِ النَّتائج السَّيئة.

فهَذِهِ الذُّريَّة نعمةٌ لك أخي المسلم، فأنت قد رزقك الله ذُريَّةً، وغيرك عقيمٌ، وغيرك يَتمنَّىٰ أَنْ يكون له ابنٌ ولو واحدٌ!

كيف تُفَرِّط في الذُّريَّة وهي هبة من الله لك؛ قال الله ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[الشورىٰ:٤٩، ٥٠]؟!

فلو قام كلٌّ منَّا بالدَّور الصَّحيح من تربيةٍ وتوجيهٍ عَلَىٰ منهج السَّلف الصَّالح، لَمَا كانت هَذِهِ المَسَاوئ في المجتمع، قال ﷺ: «**كلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه...**»(١).

بَلْ تجد بعض النَّاس يهتمُّ بالنَّاس وقَدْ فرَّط في أَوْلىٰ النَّاسِ، وأَحَقِّهم باهتمامه وتَربيته ورعايته، وهم أهلُهُ وذُرِّيته، فيُميط الذُّباب عن الآخرين، ويترك الثُّعبان تحت قدميه، وفي بيته.

فعَلَيك -أخي المسلم- الاهتمام بنفسك وذُرِّيتك، ومن الاهتمام والتَّربية تقويمُ اللِّسان، فكَانَ ابْنُ عُمَر يَضْرب أبناءه عَلَىٰ اللَّحن؛ فتَعْليمُ

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

القرآن له أثرٌ عَلَىٰ تَقْويم اللِّسان.

فهَلْ عَلَّمتَ أَبْنَاءك القرآنَ؟ كَمْ منهم يحفظ القرآن؟

قد تقول: إنَّك كَبِرْتَ، أو إنَّ استقامتك مُتأخِّرة، أو انْشغَلْت بأمور الحياة، فعليك أن تُعَوِّض ذلك في أبنائك؛ بتشَجيعهم عَلَىٰ حفظ القرآن، ومكَافَأتِهُمْ عَلَىٰ حِفْظ الأَوْرَاد والأَذْكَار، وَادْع الله أن يُعِينَهمْ عَلَىٰ الخير.

فالدُّعاء مع التَّربية مهمٌّ، وإيَّاك أن تَدْعوَ عليهم؛ قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكم، ولَا تَدْعُوا عَلىٰ أَوْلَادِكم، ولَا تَدْعُوا عَلىٰ أَمْوَالِكم؛ لَا تُوَافِقُوا مِن اللهِ سَاعَةً يُسْأَل فِيها عَطَاءً، فَيَسْتَجِيب لَكُم**»(١).

وكذلك كان السَّلفُ يَهتمُّون بتَعْليمهم أولادهم الأذكار والأوراد، ومنها: فعلُ النَّبيِّ ﷺ مَع عُمَر بن أَبي سَلَمَة، حيث قَال: «كُنْتُ في حِجْر رَسول الله ﷺ، وكانت يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَة(٢) فقال لي: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٣).

فعليك -أيها الأَبُ- أن تُعَلِّم ابنَك آدابَ الطَّعَام، وآدابَ الشَّراب، فتُعَلِّمَه أن يَشرب بيمينِهِ، وألَّا يَتنفَّس في الإناء، وأَنْ يَشربَ ثَلَاثًا، وألَّا يَشْرب شُرب الهِيمِ، وهي النَّاقَة التي أَصَابها الهِيَام، وهو شِدَّة العَطَش؛ فَتَشْرَبُ مَرَّة واحدة تُريد أن ترتوي منها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩) من حديث أبي اليُسر رضي الله عنه.

(٢) أي: تتحرك، وتمتد إلىٰ نواحي الصحفة، ولا تقتصر علىٰ موضع واحد.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

وكذلك في اللِّباس، يجب علىٰ الأَبِ أن يَمنع ابنَه مِن أن يَلْبَس ثَوْبًا مُحرَّمًا، أو ثَوْبًا فيه صُورة؛

فعن أبي كَنَف، قال: انطلقتُ مع عبد الله – أي: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حتىٰ أتيتُ دارَه، فَأَتَاه بَنُونَ له عَليهم قُمُص حَرِير؛ فَخَرَقَها، وقال: «انْطَلِقُوا إِلَىٰ أُمِّكِم؛ فَلْتَكْسُكُمْ غَيْرَ هَذَا»(١).

ورأىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنًا له عليه قَمِيصٌ مِن حَرِير فَشَقَّه، وقال: إِنَّمَا هَذَا للنِّسَاء»(٢).

لذلك يقول ابن قُدَامة: «ينزع ما فيه تَصَاوير وصُلْبان».

فعَلَىٰ الأب أَنْ يَعْتني بلِبَاسِ وَلَده، ولا يُعَلِّم الصَّغير المُيُوعة، وكذلك الأُنثىٰ يُنشِّئها عَلَىٰ اللِّباس السَّاتر، وأَنْ يكون هَذَا اللِّباس ضَافِيًا سَاترًا حتَّىٰ تنشأ عَلَىٰ منهجٍ صحيحٍ.

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَان فِينَا
عَلَى مَا كَانَ عَوَّده أَبُوه

فتعويدُهُ عَلَىٰ الشَّيء الصَّحيح؛ سواء في عقيدتِهِ، وفي أخلاقِهِ، وفي عبادتِهِ، أو في أيِّ شيءٍ من الأُمُور ممَّا لله فيه حقٌّ، أو ممَّا للرَّسول ﷺ فيه حقٌّ، هَذِهِ عنايةٌ مُهمَّةٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ١٥٢) (٢٤٦٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ١٥٢) (٢٤٦٥٥).

بَلْ كَانَ بَعْضُ السَّلف يقول لأبنائِهِ: اعلموا «التَّرضِّي عَلَىٰ الشَّيخين، وعن السِّبطين، والمَسْح عَلَىٰ الخُفَّين».

والشَّيْخَان: هو أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والسِّبْطَان: هما الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لهَذَا تَجِد أبناء السَّلف قد تَعلَّموا كثيرًا من المَسَائل، وهُمْ صغارٌ.

الخاتمة

إن مَوْضوع التَّربية موضوعٌ مهمٌّ، نَسْأل الله أن يُوفِّقنا جميعًا للعلم النَّافع، والعَمَل الصَّالح، وأَنْ يَرْزقنا ذُرِّيَّةً صالحةً.

وفي الختام أقول: يَنْبغي للإنسان أن يهتمَّ بأبنائه، بحيث يكون لهم صاحبٌ، ويكون لهم مُعلِّمٌ، مع متابعة: إلىٰ أَيْنَ يخرجون؟ ومَنْ يُجَالسون؟ وماذا يَسْمعون؟ وماذا يَقْرؤون؟

وإذا لم تَهْتَمَّ بِتربيتهم فلا تَعْجَب مِن انحرافٍ وَقَعوا فيه في جانب الشَّهوات، أو في جانب الشُّبهات؛ لأن كلَّ ذلك من تقصيرك في حَقِّهم.

لنفسي أبكي لستُ أبكي لغيرها
لنفسي في نفسي عن النَّاس شاغلُ

فيا أخي، اعْتَنِ بنفسك، وبأَهْلك، وذُرِّيتك، ولا تَتْركهم لغيرك.

وأخيرًا، فإنِّي أعتذرُ أنِّي لَمْ أُوفِّ هَذَا الموضوعَ حَقَّه، وهَذَا الموضوعُ بحاجةٍ إلىٰ أن يُبْسطَ الكلامُ فيه، ويُكْتب فيه من الاستشهاد، واللهُ المُسْتعان.

من كتاب «طريقة الإسلام في التربية»

وإِتْمَامًا للفائدة رَأينا إِلْحَاق هذا المَبْحَث من كتاب «**طريقة الإسلام في التربية**» لِفَضيلة الشَّيخ العَلَّامة مُحَمَّد أَمَان بن عَلِيٍّ الجَامِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «لكلِّ منهجٍ من المناهج طريقةٌ فِي التَّربية، وميزةٌ يَتميَّز بِها فِي تنشئة الفرد والمجتمع، فللإسلام طريقةٌ خاصَّةٌ ومُتميِّزةٌ فِي التَّربية بميزاتٍ لا يشاركه فيها أيُّ منهجٍ آخر، فالإسلام وحده هو الَّذي يَهْدف إِلَىٰ تكوين الإنسان الصَّالح، بَيْنما تَهدف جميعُ المناهج إِلَىٰ تكوين المواطن الصَّالح، وما من شكٍّ فِي أنَّ إعداد وتكوين الإنسان الصَّالح أشمل وأدقُّ وأعمق من إعداد المواطن الصَّالح، المواطن الصَّالح هو ذلك الإنسان المُقيَّد بالأرض، بل بقطعةٍ منها، لا يصلح لغيرها، مع ملاحظة الاختلاف بَيْن تلك المناهج الأرضيَّة فِي تحديد هذا المواطن الصَّالح هل هو الجنديُّ الصَّالح فِي استعمال سلاحه.

أو هو العابد الصَّالح فِي تَنسُّكه وعبادته.

أو ذلك الإنسان الخامل فِي سلامة صدره وهدوئه.

إِلَىٰ غير ذلك من المعانِي.

أمَّا الإسلام فله طريقتُهُ الخاصَّة فِي إعداد الفرد الصَّالح، وله وسائله الخاصَّة أيضًا، إذ يأخذ هذا الكائنَ البشريَّ المُسمَّىٰ إنسانًا، يأخذه بكامله بجسمِهِ ورُوحِهِ وعقلِهِ قبل أن يهمل الرُّوح علىٰ حساب الجسم أو العقل، وقبل أن يعكس، بل ينفذ إلَىٰ هذا الكائن من جميع منافذه، فيُربِّي رُوحَه وجسمه وعقله معًا، ثُمَّ إنَّه يساير الإنسان فِي جميع أحواله، فِي حُبِّه وكرهه، وفِي حالة خوفِهِ ورجائِهِ، وفِي جميع ظروفه المختلفة.

يُربِّيه بوسائل شتَّىٰ: يُربِّيه بالقوَّة، يُربِّيه بالموعظة، يُربِّيه بالأحداث علىٰ اختلافها بالقحط والزَّلازل، بالأمراض وتسليط الأعداء حَتَّىٰ يجأر إلَىٰ الله ويرجع إليه: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل:٥٣].

يُربِّيه بمثل هذه الوسائل حَتَّىٰ يَتكوَّن الفردُ الصَّالح القويُّ فِي إيمانه وثقته بربِّه، فمنه يَتكوَّن المجتمع الصَّالح والأُمَّة الصَّالحة الخَيِّرة، وهي الأُمَّة الإسلاميَّة الواعية الطَّيِّبة الَّتِي قال عنها خالقها الحكيم العليم سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

ولقَدْ رأينا الله يخاطب هذه الأُمَّة المُحمديَّة مباشرةً ودون واسطةٍ، ودون تقييدٍ لَها بأيِّ صفةٍ من الصِّفات المُقيدة؛ لا بالقوميَّة أو الوطنيَّة أو القبليَّة، بل يقول لَهم: يا أتباع مُحَمَّد ﷺ كنتم خير أُمَّةٍ أُخْرِجت للنَّاس إخراجًا خاصًّا وممتازًا، لتقوموا بأعباء الخلافة -تعمرون الأرض وتصلحونَها بالعدل بالأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر، والإيمان بالله- والإيمانُ بالله يستلزم

الإيمان برُسُله وكُتُبه ويوم لقائه، وغير ذلك من شُعَب الإيمان الَّتِي أعلاها قول: «لا إله إلَّا الله»، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، أخذًا من سُنَّة هادي الأُمَّة ومُربِّي البشريَّة مُحَمَّد ﷺ الَّذي أرسله الله لهداية النَّاس جميعًا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء:٧٩].

أعود فأقول: إذا رأينا الله يخاطب هذه الأُمَّة فِي الآية السَّابقة، ويُوجِّههم ذلك التَّوجيه السَّديد، ثُمَّ استمعنا إلَىٰ الآيات الَّتِي تخبرنا بعُمُوم رسالة مُحَمَّدٍ نبيِّ هذه الأُمَّة، وأنَّه بُعِث لهداية النَّاس جميعًا؛ ليَصِلهم بِربِّهم، فسنرىٰ فِي هذه النُّصُوص الآتية كيف يخاطب الله الإنسان بصفته إنسانًا فقط، ليردَّه إلَىٰ خالقِهِ، ويَصِله به مباشرةً ودون واسطةٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق:٦]. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

هكذا يخاطب الله الإنسان -حقيقة الإنسان- دون أن يربطه بصفاته الطَّارئة؛ كالوطنيَّة والقوميَّة مثلًا، بل يخاطب إنسانًا حرًّا طليقًا مخلوقًا لله، وهو عبد الله فقط ليردَّه إلَىٰ خالقه ومولاه، ويخبره بأنَّه سوف يرجع إليه ليرىٰ عنده جزاء عمله وكَدِّه فِي هذه الدَّار، وَفْق عمله وَكدِّه، إِنْ خيرًا فخيرٌ، وإِنْ

شرًّا فشرٌّ دون أن يظلم: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

فما عليه إلَّا أن يعمل الخير، ويبتعد عن الشَّرِّ، بمثل هذا الأسلوب، وبمثل هذا التَّوْجيه يُربِّي الإسلام الإنسان فِي كيانه المهم (الرُّوح)، وهو لا يهمل الجسم، ولكنَّه يُركِّز علىٰ الرُّوح كما رأينا، وكما سنرىٰ تفاصيل ذلك إن شاء الله.

ومَنْ دَرَس المناهج الأخرىٰ غير الإسلاميَّة فِي مجال التَّربية يجدها فريقين: فريق يصل النَّاس بربِّهم وخالقهم مُتجرِّدين عن الحياة، تاركين الأرض وعمارتَها، بل يكادون أن يزعموا أنَّهم روحٌ بلا جسمٍ.

وفريق آخر يصل النَّاس بالأرض ليتَمتَّعوا بالأرض وزينتها، ويكافحوا دونَها، ويعادوا من أجلها، ويوالوا فِي سبيلها، من أجلها يَحبُّون ويكرهون، وقَدْ خلدوا إلَىٰ الأرض وركنوا إليها حَتَّىٰ أصبحوا عبادًا لَها.

وأمَّا الإسلام، الإسلام وحده هو الَّذي يصل الإنسان بخالقه؛ ليصلح حاله فِي الأرض، ويُنظِّم حياته، ويَمشي علىٰ الأرض بجسمه وهو مُتوجِّهٌ إلَىٰ السَّماء برُوحِه؛ ليعيش بَيْن الأرض والسَّماء، ولا يقطع صلته بِأيَّتهما، يمشي علىٰ الأرض يكدُّ ويسعىٰ فِي رزقه، وهو مُتَّصلٌ بالسَّماء: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥]. وهذا الاتِّصال بالسَّماء بِهذه الصُّورة الَّتِي صوَّرها القرآن هو محور العقيدة الإسلاميَّة ومنهجها التَّربويُّ، ومن الاتِّصال بالله تَتفرَّع التَّشريعات والتَّنظيمات والتَّوْجيهات حَتَّىٰ يمكن للحياة البشريَّة أن تسير

علىٰ منهجها المستقيم، دون تفريطٍ أو إفراطٍ ليعلموا أنَّ الله وحده صاحب الحول والقوَّة والعزَّة والجبروت والسُّلْطان، وهو مالك الكون: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٣].

وهذا العلم يَحْملهم علىٰ عدم التَّطلُّع إلَىٰ أحدٍ سواه، بل يَتوكَّلون عليه وحده، ويكتفون به: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، ويغمضون عُيُون قلوبِهم بحيث لا يلتفتون إلَىٰ غيره، ومن ثَمَّ تَتحرَّر قُلوبُهم وأرواحهم، ليَتطلَّعوا إلَىٰ الله، بل لينطلقوا إليه خفافًا يحدوهم الحبُّ الصَّادق لخالقهم لينطلقوا لخالقهم ووليِّ نِعْمتهم، وشوقهم إلَىٰ لقائه، وهو أسمىٰ أمانيهم، أجل، إنَّ هذا الرَّدَّ يجعلهم يُدْركون الأُمُور علىٰ حقيقتها، وأنَّ منهج الله هو المنهج الصَّالح وحده، فيَلْتمسون الهدىٰ فِي منهجه، ليهتدوا بِهديه، ويسيروا علىٰ ضوئه، فتصلح حالهم فِي الأرض، وتقوىٰ بذلك صِلَتهم بالله وثقتهم به، بل يكسبون من هذا الاتِّصال قُوَّةً تَفُوق قوىٰ الأرض كلِّها؛ لأنَّهم يَستمدُّون قُوَّتَهم من قُوَّة خالقهم، فهم من الله، وقُوَّتُهم من قُوَّة الله؛ إذ هي قُوَّةٌ تبني وتنشئ وتعمر وتصلح، وهم خلائف فِي الأرض، يخلف بعضهم بعضًا ليعمروها ويصلحوها، ويقيموا فيها العدل، ويَستغلُّوا خيراتِها وثروتَها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

ولا يعرف العجز والكسل إلَىٰ نُفُوسهم سبيلًا، بل يواصلون سَيْرهم بقُوَّةٍ دونَها جميع القوىٰ، وبثقةٍ دونَها كلُّ الثِّقات.

هكذا يُربِّي الله الإنسان حَتَّىٰ يدرك أنَّ منه المنشأ، وإليه المصير: ﴿فَلْيَنظُرِ

ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق:٥-١٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم:٤٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ [ق:٤٣].

فمنهجُ الإسلام فِي التَّربية فريدٌ فِي بابه، فِي إحاطته بجميع جوانب الإنسان، ولا غرابة فِي ذلك؛ لأنَّه منهج الله الخالق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]. ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠].

وبعد هذه الإشارة وهذه النُّصُوص الَّتِي سردناها نستطيع أن نقول بكلِّ تأكيدٍ: إنَّه لا يوجد نظامٌ أو منهجٌ يعالج الفطرة كما يعالج الإسلام، إذ هو يعطي كلَّ جانبٍ فِي الإنسان غذاءه اللَّائق به، والصَّالح له بنظامٍ دقيقٍ، وبالقدر المفيد بحيث لا يشكو جوعًا، أو يُصَاب بتُخْمةٍ.

ومن ثَمَّ ينطلق الإنسان فِي الحياة نشيطًا مُتحرِّكًا ومنتجًا علىٰ الدَّوام دون عجزٍ أو كسلٍ أو فتورٍ، وجميعُ المناهج الأرضيَّة تعجز عن الوُصُول إلَىٰ هذا المستوىٰ، وتقف دون هذا الشُّمول فِي دِقَّته كما يشهد واقع الحياة بذلك، ولا أريد بحديثي هذا إجراء مقارنة بَيْن المنهج الإسلاميِّ المُنْزل وبَيْن المناهج الأرضيَّة الوضعيَّة، بل لا أُبِيح لنفسي مثل هذه المقارنة، وإنَّما أريد بيان وشرح المنهج الإسلامي، وأنَّه هو وحده الصَّالح للتَّربية المنشودة، وهو الكفيل وحده لتكوين الجيل الصَّالح وتنشئته، الجيل الَّذي يعمر الأرض، ويقيم

العدل، ويؤمن بالله، ويعمل لصالح عباد الله دائمًا حيث ما حَلَّ، وأينما نزل.

بل أقول بكلِّ تأكيدٍ: إنَّ المناهج كلَّها -غير المنهج الإسلاميِّ- تعجز أن تخرج هذا الصِّنف من النَّاس، أجل إنَّ المنهجَ الإسلاميَّ لو درس وفهم ثُمَّ طُبِّق لأغنانا -نحن المسلمين- من استيراد مناهج من خارج بلادنا، ومِنْ وَضْع أعدائنا وأعداء عقيدتنا -مشرقين أو مغربين- لنربِّي عليها أبناءنا وفتياتنا، والَّذي حَمَلنا علىٰ ما نحن عليه اليوم من الْتِمَاسِ الهدىٰ والصَّلاح والخير فِي غير المنهج الإسلاميِّ هو عدم دراستنا للإسلام ومنهجه التَّربوي دراسةً فاحصةً وواعيةً كما يجب أن يدرس ويفهم.

بل لا أقف عند قولِي: لأغنانا -نحن المسلمين- فحسب، بل أقول: لأغنىٰ النَّاس جميعًا وكفاهم؛ لأنَّه منهجٌ ربَّانِيٌّ صالحٌ لجميع النَّاس، أنزله ربُّ العالمين رحمةً للعالمين لهداية البشريَّة أجمع، عرفه مَنْ عرفه وأخذ به، وجَهِله مَنْ جهله وأعرض عنه، وشقي لعدم الأَخْذ به.

وهذا الشَّقاء الَّذي تشكوه الأمم المعاصرة اليوم فِي مجال التَّربية وغيره هو نتيجة إعراضها عن المنهج الإسلاميِّ التَّربويِّ، فهل لَها أن تعود من جديدٍ لتسعد؟ لستُ أدري عن مدىٰ استعدادها للعودة: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]»[(١)].

(١) «طريقة الإسلام في التربية» (ص١٩-٢٩)، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، دار المنهاج، مصر.

أسباب جنوح الحدث

إنَّ الحَمْدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا وسَيِّئات أَعْمالنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ له، وأَشْهَد أَنْ لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

إنَّ أَصْدقَ الحديث كتابُ الله، وأَحْسنَ الهُدَىٰ هُدَىٰ مُحمَّدٍ، وشرَّ الأُمُور مُحْدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أمَّا بعد:

فإنَّ المجتمعَ المسلمَ يَخْتلف عن كلِّ المجتمعات من حيث حرصِهِ علىٰ أفراده، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة:٢].

وكَمَا رَوَىٰ النُّعمان بن بشيرٍ، قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوًا تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ**»، «صحيح البخاري»(١).

وأَخْرج مسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ عن تميمٍ الدَّاريِّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قالوا: لمَنْ يا رسول الله؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٢).

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران:١٠٤]، يعني: وَلْتكن منكم أُمَّةٌ منتصبةٌ للقيام بأمر الله في الدَّعوة إلىٰ الخَيْر، والأَمْر بالمَعْروف، والنَّهي عن المُنْكر، وأُولَئك هُمُ المفلحون.

وإنْ كَانَ ذَلكَ واجبًا علىٰ كلِّ فردٍ من أَفْراد الأُمَّة، كلٌّ بحَسَبه كما ثَبتَ في «صحيح مسلم» عَنْ أبي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ**

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٧٣).

أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[١].

وفي روايةٍ: «وَلَيْسَ وَرَاء ذَلِكَ مِن الإيمَانِ حَبَّة خَرْدَلٍ»[٢].

وممَّا يُعَاني منه المجتمعُ المسلمُ هو جُنُوح بعض الأحداث عن الطَّريق السَّويِّ، وذلك بوُقُوعهم في بَعْض الانحرافات؛ سواء كانت أخلاقيَّةً، أو إجراميَّةً، أو الاعتداء علىٰ حُقُوق الآخرين؛ كالسَّرقة، والعبث، والتَّخريب، أَوْ غَيْر ذلك من الانحرافات.

وعُمُومًا، فإنَّ ظاهرةَ جُنُوح الأحداث تعتبر من الظَّواهر الحضريَّة، وهي نتيجةٌ للوَضْع الاجتماعيِّ الَّذي يعيش فيه الأفرادُ.

إنَّ الحياةَ الحضريَّة الَّتي يسعىٰ فيها كلُّ إنسانٍ لمَصَالحه مطاردًا الوقت في صباحِهِ ومسائِهِ لا يتوقَّف- تُولِّد عند الإنسان غربة حتَّىٰ مع نفسه، فتجده يسير في الحياة وراء لقمة العيش، فينتجُ عن ذلك البُرُود الاجتماعيُّ والعاطفيُّ، والغالب عَجَزَ عن التَّكيُّف والانسجام، بل أحيانًا هروبٌ من الأسرة، بل يُعْتبر غريبًا، ونادر التَّواجد في المنزل بدَعْوىٰ توفير المال، والسَّعي لمستقبلٍ أفضل، وحياةٍ سعيدةٍ.

أَقُولُ: إنَّ مثلَ هذه الأَعْذار تُحْدث شرخًا وتَصدُّعًا، وتَقْتلع الإنسانَ من صِلَاتِهِ العائليَّة، وعاداتِهِ التَّقليديَّة، بل حتَّىٰ من أحكامِهِ الشَّرعيَّة، فيَقَعون في صعوباتٍ ماديَّةٍ، ونفسيَّةٍ، واجتماعيَّةٍ، تُودِّي نتائجها أَنْ يعيش الحدثُ من

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجها مسلم (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دون مسؤولٍ، أو متابعٍ، أو حتَّىٰ مُربٍّ إلَّا ما رحم الله.

وهذا التَّصرُّف يُؤدِّي إلىٰ ارتفاع نسبة الانحراف في المجتمع بكافَّة شرائحِهِ بخِلَاف حَيَاة القرية، أو الرِّيف، أو البادية الَّتي للرَّقيب الاجتماعيِّ دورٌ فاعلٌ في تَقْويم أَفْرَاد المُجْتمع فيها، ولَوْ مَعَ غيبة الرَّقيب الفعليِّ (أعني: أب الأُسْرة).

الخلاصة:

لَيْسَتْ هناك نفسٌ تُولَد مجرمةً بقَدْر ما نَدْفعها للإِجْرام، ولا شكَّ أنَّ مسألةَ جُنُوح الحَدَث لا ترجع لعاملٍ، أو تُفسَّر بجانبٍ واحدٍ فقط، بَلْ نُرْجعها لعدَّةَ عواملَ مُتَداخلةٍ تداخلًا مُعقَّدًا.

فمِنْها علىٰ سبيل الإجمال:

١- الحالة الاجتماعيَّة.

٢- الحالة الاقتصاديَّة.

٣- الحالة الأمنيَّة.

٤- الحالة النَّفسيَّة.

٥- الحالة الدِّينيَّة.

فالأسبابُ مُتعدِّدةٌ، وبالتَّالي لا بُدَّ أَنْ يكونَ العلاجُ مُتعدِّدًا، كلٌّ بحسبه؛ لمُعَالجة ما تَرتَّب علىٰ ذَلكَ من مُضَاعفاتٍ.

وقبل أَنْ أبدأَ في الحديث أَقُول: إنَّ هذِهِ الدِّراسة تُمثِّل رؤوس أقلامٍ،

ونقاطًا، وليست دراسةً مستفيضةً، ولكنَّها مشاركةٌ للعلاج، وحلولٌ تُسَاعد من تَقْليل هذه المُشْكلة، وهي بحاجةٍ للتَّوسُّع والبسط لعلَّ الله أَنْ يُقيِّض لها مزيدًا من الدِّراسات والبُحُوث.

وقَبْل الشُّرُوع في بَيَان أَسْباب جُنُوح الحَدَث؛ سواء كان منها المُتعلِّق بالمجتمع والأُسْرة، أو المُتعلِّق بنفس الحَدَث، أرىٰ أنَّ عَلَينا أَنْ نَعْرف الحدثَ والجُنُوحَ.

إنَّ الإسلامَ هو أوَّل مَنْ عاملَ الحدثَ معاملةً خاصَّةً مُميَّزةً عن غيره من الكبار والمُكلَّفين.

وذلك في عدَّة أُمُورٍ، منها:

* التَّعامل.

* والمسؤوليَّة.

* والجزاءات الجنائيَّة.

* أساليب التَّوجيه، والإرشاد، والتَّقويم، والتَّربية.

فيقصد بمَفْهوم الحدث: من دون سنِّ المسؤوليَّة الجنائيَّة؛ إذ محلُّ المسؤوليَّة في الشَّريعة الإسلاميَّة: هو الإنسانُ المُكلَّف، البالغ، المُدْرك، المُخْتار.

فَلَا قيام للمسؤوليَّة الجنائيَّة إلَّا بتَحقُّق أهليَّة التَّكليف، والإدراك، والاختيار، وهي تعرف في الشَّرع ببداية البُلُوغ.

فالإنسان يمرُّ بمراحلَ في حياتِهِ، وهي كالتَّالي:

(مَرَاحل الإنسان):

الأولىٰ: مَرْحلة الطُّفولة: من ولادتِهِ إلىٰ سبع سنين، وهي مَرْحلةُ انْعِدَام الإِدْرَاك، ويُسمَّىٰ غير المميَّز.

الثَّانية: مَرْحلة الحَدَث: وهي من السَّابعة إلىٰ الخامسة عشر، أَيْ: إلىٰ بُلُوغه، وهي مرحلةُ الإدراك الضَّعيف.

الثَّالثة: مَرْحلة البُلُوغ: (المُرَاهقة، وسن أوَّل الشَّباب)، وهي من سنِّ بُلُوغه.

وأَكْثَر أَهْل العلم يَجْعلونها من سنِّ الخامسة عشر فما فوق.

الرَّابعة: مَرْحلة الرُّجُولة: وهي الَّتي تبدأ بسنِّ الرُّشد، وليس له حدٌّ، يَبْتدئ من وقت سنِّ الرُّشد نظرًا للفُرُوقات الفرديَّة، والقدرات الشَّخصيَّة، ولرُبَّما بلغ الثَّلاثين سنةً أو أكثر وهو لَمْ يرشد بعد، بل رُبَّما أصبح كهلًا وهو لا يزال سفيهًا، لا يُؤنَس فيه رشدٌ.

تعريف الجنوح:

الجُنُوح: هِيَ الأفعالُ المُنَاهضة للمجتمع، أو المحظورات الشَّرعيَّة الَّتي يَرْتكبها الأحداثُ في سِنِّ حَدَاثتهم الشَّرعيَّة، والَّتي إذا اقْتَرفها أو فَعَلها البالغون، عُدَّتْ ضمن الجَرَائم الَّتي يُعَاقب الشَّرع عليها من قِصَاصٍ وحُدُودٍ، وغيرها.

ويَنْبغي ألَّا ننظرَ إلىٰ جُنُوح الحَدَث علىٰ أنَّها ظاهرةٌ إجراميَّةٌ، بَلْ علىٰ أنَّها ظاهرةٌ مَرَضيَّةٌ، اجتماعيَّةٌ، تربويَّةٌ تَسْتدعي العلاجَ بالرِّعاية، والوقاية، والتَّقويم الخلقي، فهو مَريضٌ يجب علاجُهُ، لا مجرمٌ يجب عقابُهُ؛ لأنَّه لا يملك الإدراكَ الكافي الَّذي يَتكيَّف به مع مَنْ حوله، ويتمكَّن من فَهْم أو تقدير نتيجة أفعالِهِ، أو ما يقدم عليه، خُصُوصًا وأنَّ أكثر الحالات تَحْكمها الصُّدفة؛ كمسائلَ فرديَّةٍ غير مُنظَّمةٍ.

الأسباب العامَّة لجنوح الحدث على وجه الإجمال، وسيأتي بعدها الشَّرح، وكيفيَّة العلاج:

وهي كالآتي:

١- ضَعْف الوازع الدِّينيِّ.

٢- قلَّة المُرَاقبة والمُتَابعة.

٣- ضَعْف التَّربية.

٤- الرُّفقة السَّيِّئة.

٥- الإعلام السَّيِّئ.

٦- تَوفُّر المال.

٧- المشاكل الزَّوجيَّة.

٨- انفصال الزَّوجين.

٩- غياب أَحَد الوالدين.

١٠- القُدْوة السَّيِّئة.

١١- اخْتيَار الصُّحبة المناسبة.

١٢- المُعَاملة السَّيِّئة.

١٣- كَثْرة الخُرُوج من المنزل.

١٤- الفقر .

١٥- الجهل .

١٦- الحقد، والانتقام ممَّن حوله.

١٧- حبُّ المغامرة، ورؤية المَجْهول.

١٨- التَّركيز علىٰ الجانب العلميِّ التَّحصيليِّ دون الجانب السُّلوكيِّ التَّربويِّ.

١٩- التَّسرُّب الدِّراسيُّ في سنٍّ مبكر.

٢٠- شرب الدُّخَان، وتعاطي بَعْض المُحرَّمات.

٢١- السَّفر خارج البلد.

٢٢- السَّهر خارج المنزل.

٢٣- عَدَم اهتمام المجتمع ببعض شرائحِهِ.

٢٤- البطالة، وعدم استغلال وَقْت الفراغ بالمفيد.

٢٥- حياة اللَّامبالاة، وانعدام المسؤوليَّة.

٢٦- عَدَم العتاب والمُسَاءلة علىٰ الخطإ.

٢٧- شُعُوره بالفَشَل، والقُنُوط، واليَأْس.

٢٨- الانفتاح العالميُّ.

الأَسْبَاب العائدة لنَفْس الحَدَث على وَجْه الإجمال، وسيأتي تَفْصيلها وعِلَاجها:

١- ضَعْف مراقبة الله.

٢- الغَفْلة.

٣- تَرْك الصَّلاة.

٤- التَّسرُّب الدِّراسيُّ.

٥- مُصَاحبة السَّيِّئين الأشرار.

٦- السَّهر لساعاتٍ مُتأخِّرةٍ من اللَّيل.

٧- إِتْيَان أَمَاكنَ مشبوهةٍ.

٨- النَّظر والسَّماع لما يثير الشَّهوة.

٩- تَنَاسيه ممَّن يكون، وإلىٰ مَنْ يَنْتمي.

١٠- كَثْرة الخُرُوج من المنزل بغير حاجةٍ.

١١- المزاح بما يخلُّ.

١٢- مُشَابهة أَهْل الباطل والفسق.

١٣- حَيَاة اللَّامبالاة.

١٤- تَضْييع الأوقات.

١٥- عَدَم إدراك عَوَاقب الأُمُور.

١٦- الخَوْض والعمل في كلِّ شيءٍ، أو تَدخُّله فيما لا يعنيه.

١٧- السَّفر للخارج.

١٨- التَّفكير في نشوة اللَّحظة.

١٩- إِهْمَال الأعمال الصَّالحة.

٢٠-حبُّ التَّملُّك بأيِّ وسيلةٍ.

٢١- إشباعُ النَّفس، وإعطاؤها كلَّ ما تريد.

وَحَانَ الأوان أَنْ نذكرَ بَعْضَ الأسباب العامَّة لجُنُوح الحَدَث، وشيئًا من عِلَاجها على وَجْه التَّفصيل؛ إذ الأسبابُ مُتعدِّدةٌ، والثَّمرة واحدةٌ:

١- ضَعْف الوازع الدِّينيِّ.

وعلاجُهُ: تَكْثيفُ المحاضرات، وخطب الجُمُعة، وكلمات المساجد، والتَّركيز في الخطاب علىٰ عقليَّة وفَهْم الأحداث؛ ليَسْتوعبوا التَّوجيه، ونَشْر النَّصائح؛ المطبوع منها والمُسجَّل؛ ليستفيد أكبرُ عددٍ ممكنٍ من خلال الإذاعة المدرسيَّة، والنَّشرات الحائطيَّة.

٢- قلَّة المُرَاقبة والمُتَابعة.

وعلاجُهُ: بالاهتمام بالنَّشء، وذلك بسؤاله إذا تأخَّر، وملاحظته إذا قَصَّر، وبشعوره أنَّه مراقبٌ ومتابعٌ يَحْذر المساءلة، فيندفع شرٌّ كثيرٌ بإذن الله.

٣- ضَعْف التَّربية.

وعلاجُهُ: الفَهْم الصَّحيح للتَّربية من قِبَل المُربِّي علىٰ أنَّها ليست مُجرَّد توفير طعامٍ، وكساءٍ، ومأوىٰ، أو الاعتماد الكُلِّي علىٰ ثَقَافة الشَّارع، بَلْ هي مجموعةٌ من القِيَم والمبادئ السَّامية الَّتي يَتعلَّمها الحدثُ؛ سواء كانت هذه العمليَّة التَّربويَّة في المنزل، أو المدرسة، أو أيِّ محضنٍ من محاضن التَّربية.

٤- الرُّفقة السَّيِّئة.

وعلاجُهُ: أن يبعد عن أَصْحاب السُّوء، وبَيَان الآثار المُترتِّبة علىٰ ذلك:

قال الأوَّل:

إذا صَـــحِبْتَ القـــومَ فَاصْـــحَب خِيَـــارَهم

ولا تَـــصْحب الأَرْدَى فتَـــرْدى مـــع الـــرَّدي

وضرب المَثَل من خِلَالِ سِيرَة المُتضرِّرين للعِبْرة والحَذَر، وَصَدق ﷺ عندما قال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»، «صحيح البخاري» (٢/ ٧٤١)[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

٥- **الإعلامُ السَّيِّئ**: الَّذي يَنْشر الرَّذيلة، وَأَساليبَ الجَريمَةِ.

وعلاجُهُ: يَكُونُ بضَبْط القَنَوات النَّاقلة للسُّموم، وحجبها عن البثِّ ولو علىٰ مستوىٰ المنزل، والحرص علىٰ اقتناء المَجلَّات المفيدة، والأشرطة الهادفة التَّربويَّة، وذلك من خلال جهاز الكُمْبيوتر المُطوَّر الشَّامل للكثير من البرامج الأسريَّة المُتنوِّعة، والحَذَر من بَعْض ما يُعْرض ممَّا فيه من إثارةٍ، أو عنفٍ، أو مُحَاكاةٍ للجريمة، ولَوْ بما يُسمَّىٰ بأفلام الكرتون.

٦- **تَوفُّر المال**.

وعلاجُهُ: يكون بالصَّرف المعتدل الَّذي لا يُطْغي الحَدَثَ، فيصبح بمَقْدوره تَملُّك ما يريد متىٰ ما أَرَاد؛ لأنَّه ليس عنده ما يَعُوقُهُ من النَّاحية الماديَّة، فكم مِنْ حدثٍ مَنَعه من الوُقُوع في بعض المُخَالفات قلَّةُ ذات اليد.

٧- **المَشَاكل الزَّوجيَّة**.

وعلاجُهُ: بمُحَاولة إِخْفاء ما يكون بين الزَّوجين من بَعْض المَشَاكل، فلا يَطَّلع عليها الأبناءُ، بل مُحَاولة عدم إِشْعَارهم بأَنَّ هُنَالك أيَّ مشكلةٍ حتَّىٰ يكون في جوٍّ أُسَريٍّ آمنٍ، لا تحيطه المُنَازعات .

٨- **انفصال الزَّوجين**: وذلك يكون بالطَّلاق، أو وَفَاة أَحَدهم.

وعلاجُهُ: اهتمام الأُسَر بذويهم، وعَدَم ترك الأُمُور علىٰ ما يَشْتهون، وعلىٰ الأب والأمِّ وإنْ كانوا مُنْفصلين أَنْ يتَّقوا الله في ذُرِّيَّتهما، فالمسؤوليَّةُ قائمةٌ، وفي أعناقهم، قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤولٌ عَنْ**

رَعِيَّتِه»[(١)].

٩- **غِيَابُ أَحَد الوالدين**: وذَلِكَ بسَفَر أو دعوىٰ جمع المال وغيره.

وعلاجُهُ: يكون بالتَّواجد شبه الدَّائم في المنزل، وشُعُور الحدث بأَنَّ وَليَّه قريبٌ منه، متابعٌ لسُلُوكه، مُقوِّمٌ لأخلاقِهِ.

أَقول: إنَّ وراء كلِّ جنوحٍ تقصيرًا أُسريًّا.

١٠- **القدوة السَّيِّئة**.

وعلاجُهُ: يكون بزرع قدواتٍ حيَّةٍ في الذِّهن؛ سواء كان ذلك من المُتقدِّمين، أو من المُعَاصرين، فكيف أنَّ بَعْضهم ذوو عاهاتٍ أَنْتَجوا، وكان لهم أثرٌ في المجتمع، فكيف بالصَّحيح السَّويِّ، بل يُذكَّر بأقرانِهِ وما لهم من دورٍ إيجابيٍّ لتَتحرَّك هِمَّتُهُ.

١١- **عَدَم اختيار الصُّحبة المناسبة**: كصُحْبة مَنْ ليسوا من طبقته؛ سواء كان ذلك في السِّنِّ، أو في مستوىٰ المعيشة.

وعلاجُهُ: بأَنْ يمشي مع مَنْ هُمْ في سنِّه، ومُسْتواهم المعيشي قريب منه، وألَّا يمشي مع مَنْ هم أكبر منه حتَّىٰ لا يكون منهم جرأةٌ عليه، أو تهاونٌ منه لهم فيما يريدون، أو لا يَسْتطيع دَفْعَ ما يرغبون.

١٢- **المُعَاملة السَّيِّئة، والاحتقار الدَّائم**.

وعلاجُهُ: تَحْسين المُعَاملة مع الأبناء، وإعطاؤهم فرصةً لإثبات ذَوَاتهم،

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وكذلك بالنِّسبة للمجتمع حتَّىٰ لا تبقىٰ في ذاكرتِهِ صورٌ مظلمةٌ عن هؤلاء، فتكون التَّصرُّفاتُ في المقابل انتقاميَّةً.

١٣- كَثْرة الخُرُوج من المنزل.

وعلاجُهُ: بالمُكْث في الدَّار، واستثمار الأوقات بالصَّالح، وذلك بجَدْولة أَوْقات الفراغ بما يَعُود بالنَّفع؛ لأنَّ الزَّمن إذا لم يُسْتغلَّ بالمفيد، شعر الحدثُ بالفَرَاغ، فيلجأ إلىٰ الخُرُوج للشَّارع، وليس فيه إلَّا سقط المتاع، هم أَصْحابُ الشَّوارع.

١٤- الفقر.

وعلاجُهُ: أَنْ تَتولَّىٰ الجهاتُ الخيريَّة العنايةَ بهذِهِ الفئة الَّتي إذا لم تُحَط بالاهتمام نشأ الحدثُ وهو ساخطٌ علىٰ المجتمع الَّذي لا يلتفت إليه، ولذلك حثَّ دِينُنَا الحنيف علىٰ العناية بالفُقَراء والمساكين، ورعايتهم، وفي هذه البلاد (أعني: المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) عدَّة جهات خيريَّة، ولجان دعوةٍ؛ سواء كانت حُكُوميَّةً، أو أهليَّةً قائمة علىٰ دَعْم المحسنين الَّذين يبذلون الخير لكفاية المجتمع، وقَطْع الحاجة، حتَّىٰ لا يأخذها الفقيرُ بطُرُقٍ غير مشروعةٍ تُوقِع الحدثَ فيُمَارسها.

١٥- الجهل: إنَّ المجتمعات المُتعلِّمة الَّتي تشقُّ طريقها في صُرُوح العلم هي الأقلُّ نسبةً في جُنُوح أحداثها، وغالب ذلك يَقَع من الجُهَّال علميًّا، ومعرفيًّا.

فعلاجُهُ: تَعْميم دور العِلْم والمَدَارس علىٰ كَافَّة المُسْتويات في المدن،

والقرىٰ، والهجر؛ لأنَّ هناك علاقةً نسبيَّةً بين الجهل والجريمة.

١٦- **الحقدُ والانتقامُ ممَّنْ حوله**: وذلك راجعٌ كرِدَّةِ فعلٍ لمَنْ فعل ذلك التَّقصير معه، أو الإجحاف في حَقِّه، أو ما إلىٰ ذلك من أسباب التَّقصير الَّتي جَعَلته حاقدًا يَتصرَّف فيما يضرُّهُ قبل أن يضرَّ الآخرين.

وعلاجه: يَكُون بامتصاص انفعالات أمثال هؤلاء الأحداث، واحتوائهم، وإِشْعَارهم أَنَّ مَا يَحْصل هي رُدُودُ فعلٍ شيطانيَّةٌ، وليس حقِّك أنَّ مَنْ وقع في الخطأ معك أَنْ تقعَ مثله في الخطأ.

١٧- **حبُّ المغامرة، ورؤية المجهول.**

وعلاجه: بأَنْ يعلمَ الحدثُ أنَّ الأُمُور ليست من السَّهولة بمكانٍ أن يمارسَ الإنسانُ بَعْض الممنوع للتَّجربة، فكم من شخصٍ أَرَاد المغامرةَ، فَوَقع في المُؤَامرة، وشَوَاهد المُخدِّرات والإجرام أكثر من أَنْ تُحْصىٰ.

١٨- **التَّركيزُ عَلَىٰ الجانب العلميِّ التَّحصيليِّ دون الجانب السُّلوكيِّ التَّربويِّ.**

وعلاجُهُ: يكون بتَرْسيخ النَّظرة الشُّموليَّة في أَمَاكن صناعة الأَجْيال، ومَحَاضن التَّربية من المَدَارس والمَنَازل بأَنْ يكون هناك توازنٌ في المَطَالب، وأَنْ يُعْتنىٰ بالجانب الرُّوحيِّ والسُّلوكيِّ بالإضافة إلىٰ الجانب العلميِّ التَّحصيليِّ.

١٩- **التَّسرُّب الدِّراسيُّ في سنٍّ مبكر.**

وعلاجُهُ: يكون بالتَّشجيع، والتَّرغيب في المُوَاصلة، ولَوْ عن طريق تنمية المَهَارات الصِّناعيَّة والمهنيَّة من خلال معاهدَ خاصَّةٍ لذلك؛ لأنَّ الفراغَ والشُّعورَ بالنَّقص من أكبر أَسْبَاب انحراف وجُنُوح الحدث.

٢٠- شُرْب الدُّخان المُحرَّم، وتَعَاطي بَعْض المُحرَّمات: والسِّيجارة هي أوَّل مفاتيح الشَّرِّ والانحراف والانجراف إلىٰ الهاوية؛ لأنَّ بسَبَبها يَتعرَّف عَلَىٰ المفسدين بجميع أَلْوَانهم.

وعلاجُهُ: بأَلَّا يُبَاع بالكُليَّة، ويَمْنع المجتمعُ أيَّ حدثٍ تعاطىٰ سَجَائر من المَحلَّات، وأَنْ يُنْكر المجتمعُ بأكملِهِ هذا الفعلَ المشينَ، وألَّا يَسْمح به في كلِّ الأماكن؛ سواء كانت عامَّةً أو خاصَّةً، حُكوميَّةً أو غير حكوميَّةٍ، وألَّا يُتَعاطىٰ هذا الفعلُ المُشينُ أَمَام الأبناء، وفي المناسبات العامَّة والخاصَّة، وأخصُّ المُدرِّسين؛ لأنَّهم قدوةٌ.

فالسِّيجارةُ تجعلُهُ يُجَالس مَنْ يتعاطىٰ غيرها، ولو سَأَلت المُدْمنين علىٰ المُخدِّرات، لوجدتَ أنَّ السَّببَ الرَّئيس الذي يحتلُّ قائمةَ صحبة المُدَخنين الأوائل الَّذين جَالَسهم، فَقَادته للهَاوية، وكلِّ أنواع الانحراف، وحَسَب حديث أَحَدهم أنَّ هَذَا تعَادل نسبته ٩٥٪.

٢١- السَّفَر خارج البلد: لأنَّه يسهل رؤية المنكر، وتعاطيه، والوُقُوع فيه في مجتمعاتٍ مفتوحةٍ علىٰ كلِّ شيءٍ، الحلال ما حلَّ بأيديها، والحرام ما حَرَّموا منه، وليس عندهم الحرام ما حُرِّم شرعًا، والحلال ما حلَّ شرعًا.

وعلاجه: بتَرْك السَّفر إلىٰ تلك الأماكن الإباحيَّة، وان اضطرَّ للسَّفر،

فليكن في أماكنَ مُحْتشمةٍ، أو ألَّا يُسْمح للأحداث بالذَّهاب لما يخلُّ حتَّىٰ لا تَترسَّخ الأفكارُ المنحرفةُ، فيرجع لبلده وهو مُحمَّلٌ بالسُّموم والأفكار الرَّديئة، فيَسْعىٰ لتَطْبيقها، فيصبح مفتاحَ شرٍّ لبلدِهِ ومجتمعِهِ.

٢٢- **السَّهر خارج المنزل**: ماذا تَرْتجي من حدثٍ يَسْهر خارج المنزل مع أحداثٍ في نفس سنِّه، ماذا سَيُوحِي بَعْضهم لبعضٍ؟ ماذا سيُمْلي لهم الشَّيطان وهم يَمْكثون إلىٰ ساعاتٍ مُتأخِّرةٍ من اللَّيل (عبثٌ، تخريبٌ، فواحشُ، اعتداءٌ، وما إلىٰ ذلك من قائمة الشَّرِّ الَّتي من أسبابها السَّهر خارج المنزل).

إنَّ العلاجَ لهَذَا أنَّ يُحدَّ من خُرُوج الحَدَث إلَّا مع وليِّ أمره، لتكون تَصرُّفاته تحت التَّوجيه والملاحظة، وألَّا يَسْمح الوليُّ للحدث بأَنْ يسهر خارجَ المَنْزل مهما ظنَّ في ابنه أنَّه يُحْسن التَّصرُّف حتَّىٰ لا يندم وقت لا ينفع النَّدم.

٢٣- **عَدَم اهْتمَام المُجْتمع ببعضِ شَرَائحه.**

وعلاجُهُ: بَذْل مزيد الاهتمام من قِبَلِ المَدْرسة، وإمام المسجد، وعُمْدة الحارة بلقاء السُّكَّان، والاجتماع بهم، ولو بشكلٍ دوريٍّ، فيَتَذاكرون شؤونهم وأُمُورهم لما فيه من صلاح الدِّين والدُّنيا، وأَنْ يَعْترفَ المجتمع بتوبة الحَدَث حتَّىٰ لا يرجعَ مرَّةً أخرىٰ إليها.

٢٤- **البطالةُ وعَدَم استغلال وَقْت الفراغ بالمفيد.**

وعلاجُهُ: كَمَا قال النَّبيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**:

الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[١].

يَقُول ابْن القَيِّم في «مدارج السالكين» (٢/ ١٣٠): «فإِنْ لَمْ يشغل نفسه بما يَنْفعها، شغلته بما يضرُّه، لا سيَّما إذا كان الفراغُ مع حدَّة الشَّباب، وملك الجدة، ومَيْل النَّفس إلىٰ الهوىٰ، وتَوَالي الغَفَلات، كما قيل:

إنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَة[٢]
مَفْسَدةٌ للمرء أيُّ مفسدةٍ».

إذًا، لا بُدَّ من شغل الفراغ بالنَّافع والمفيد من خلال المَرَاكز التَّربويَّة، والنَّشاطات المُتنوِّعة الَّتي يَسْتفيد منها النَّاشئة بما يَعُود عليهم، وعَلَىٰ مُجْتمعهم بكلِّ خيرٍ؛ لأنَّ هناك علاقةً وثيقةً بَيْن كثرة الفراغ، ونِسْبة الانحراف.

٢٥- حَيَاة اللَّامبالاة، وانعدام المسؤوليَّة.

وعلاجُهُ: أَنْ يحمل الحدث بعض المسؤوليَّات، وألَّا يعيشَ حَيَاة الاتِّكاليَّة، وأَنْ يكون في كفايةٍ دائمًا، فيشعر أنَّ وُجُوده وعدمه سواء، فيُنمَّىٰ فيه الشُّعور بالمسؤوليَّة إلىٰ أَنْ تزول منه الحياةُ السَّلبيَّة إلىٰ الإيجابيَّة والإنتاجيَّة بدل الاتِّكاليَّة؛ لأنَّ ذلك مربوطٌ بالمستقبل، ونظرة المجتمع إليك.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٢) الجدة: الغِنىٰ.

٢٦- عَدَم العتاب والمساءلة علىٰ الخطأ.

وعلاجُهُ: أَنْ يُعَامل الحَدَث من أسرتِهِ علىٰ أنَّه رجلٌ متكاملٌ يُحَاسب علىٰ تقصيره، ويُثْنىٰ علىٰ إتقانِهِ، وأنَّ الخَطَأ نتائجُهُ وخيمةٌ، وعواقبُهُ غير حميدةٍ، مع إِعْطاء كلِّ خطإٍ حَجْمه المناسب، لا إِفْراطَ، ولا تَفْريطَ.

٢٧- شُعُوره بالفَشَل والقُنُوط واليأس.

وعلاجُهُ: يَزُول بغرس مَبَادئ المُحَاولات الجادَّة للتَّصويب والسَّعي نَحْو الأفضل، فهذِهِ النَّظرة السَّوداويَّة للحياة والمجتمع تزول إذا علم أنَّ الأملَ مشرقٌ، وبابَ التَّوبة مفتوحٌ، قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر:٥٣].

وعَلَىٰ المُجْتمع أَنْ يُعَامله بالوَجْه الحسن دون سُبَّةٍ أو تعييرٍ «وكَتَب عُمَر إلىٰ النَّاس أَنَّ عليكم أنفسكم، ومَنْ غَيَّر فغَيِّروا عليه، ولا تُعيِّروا أحدًا، فيَفْشو فيكم البلاء». «البداية والنهاية» (٧/ ٩٣).

٢٨- الانفتاح العالميُّ.

وعلاجُهُ: الحَذَر كلَّ الحذر ممَّا يُخَالف ما نحن عليه من تَميُّزٍ في المبادئ والقيم؛ سواء كان منها ما يَتعلَّق بالعقيدة، أو الدِّين، أو الأخلاق، والسُّلُوك؛ لأنَّ هُنَاك شرًّا يُرَاد للعباد والبلاد، حمانا الله منه.

وَلَا تكون الحمايةُ إلَّا بالتَّمسُّك بالمَبَادئ الأصيلة النَّابعة من كتاب ربِّنا، وسُنَّة نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، عَلَىٰ خُطَىٰ سَلَفنا الصَّالح رحمهم الله؛ لأنَّ هَذَا

الانفتاحَ أشدُّ خُطُورةً؛ لأنَّه يُخَاطب جميع الشَّرائح في أيِّ مكانٍ من خلال وَسَائل البثِّ؛ المقروء منها، والمسموع، والمُشَاهد، فهو غزوٌ عقائديٌّ فكريٌّ أخلاقيٌّ، فتنة للشَّهوات والشُّبهات، يريد أَنْ يُدمِّر كلَّ شيءٍ، فيعيش الإنسانُ المسلمُ كالحيوان والبهيمة.

الأسباب العائدة لنفس الحَدَث وجُنُوحه؛ (تفصيلها وعلاجها):

١- ضَعْف مراقبة الله.

وعلاجها: تَذكُّر أنَّ الله لا يَخْفىٰ عليه خافيةٌ، فيَنْتبه لمثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾.

٢- الغفلة.

وعِلَاجها: الشُّعُور بأنَّك أيُّها العبد محاسبٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، فَانْتبه لما تأتي، وما تذر.

٣- تَرْك الصَّلاة.

وعِلَاجها: المُحَافظة علىٰ الصَّلاة، فهي تَنْهىٰ عن الفَحْشاء والمنكر.

٤- التَّسرُّب الدِّراسي.

وعِلَاجه: مُوَاصلة التَّعليم لتشعر بقَدْرك في المجتمع، وتقوم بالدَّور الصَّحيح.

٥- مصاحبة السَّيِّئين الأشرار.

وعلاجُهُ: تَرْك الصُّحبة السَّيِّئة، فليس منهم إلَّا الضَّرر، فهُمُ الَّذين

يَجْنحون به، فيُهوِّنون عليه الأمر، فلا يشذُّ عنهم، ويقع معهم.

٦- السَّهر لساعاتٍ مُتأخِّرةٍ.

وعلاجُهُ: تَرْك السَّهر خارج المنزل، فإنَّه يجرُّ إلىٰ أشياء لا تُحْمد عُقْباها.

٧- إِتْيَان أَمَاكن مشبوهةٍ.

وعلاجُهُ: تَرْك أماكن الشُّبهات، ومَوَاطن التَّجمُّعات؛ لأنَّ غشيانها يُسهِّل الموافقة لما فيها، والجُنُوح عن الجادَّة.

٨- النَّظر أو السَّماع لما يثير الشَّهوة.

وعلاجُهُ: الامتناعُ عن كلِّ ما يثير الشَّهوة من مَسْموعٍ، ومرئيٍّ لنطفئ مُيُول النَّفس للحرام.

٩- تَنَاسيه مِمَّنْ يكون وإلىٰ مَنْ تَنْتمي.

وعلاجُهُ: الاحتفاظُ بسُمْعة مَنْ تَنْتمي إليهم؛ لأنَّ ذلك يَبْقىٰ معه الدَّهر، فيضرُّ نفسه وعائلته.

١٠- كَثْرة الخُرُوج من المنزل بغير حاجةٍ.

وعلاجُهُ: إقلالُ الخُرُوج من المنزل إلَّا لحاجةٍ، فذلك يُولِّد في النَّفس الاستقرارَ والطُّمَأنينة، ويصرف عن أَهْل السُّوء، وَقَالَ ﷺ وهُوَ يَنْصح أحد الصَّحابة لمَّا سألَ عن النَّجاة، عن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله، ما النَّجاة؟ قال: «**امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ**».

قَالَ أبو عيسىٰ: «هَذَا حديثٌ حسنٌ». «سنن الترمذي» (٤/ ٦٠٥) [(١)].

١١- المزاحُ بما يخلُّ.

وعلاجُهُ: تَجنُّب المُمَازحة بكلِّ ما يخلُّ بالأَخْلاق من قولٍ، وعملٍ حتَّىٰ لا يُجرِّئ عليك الآخرين.

١٢- مُشَابهة أَهْل الباطل والفسق.

وعلاجُهُ: تَرْك تقليد المُخَالفين لأُمُور الشَّرع، وبُغْض ما هم عليه حتَّىٰ لا يسهل علىٰ النَّفس مُشَابهة أَفْعَالهم خَاصَّةً ما يُسمَّىٰ بمَشَاهير الفنِّ والنُّجوميَّة الَّتي يعدُّ أهلها أبطالًا، وهم من أَحْقر النَّاس، وأسوئهم.

١٣- حَيَاة اللَّامُبَالاة.

وعلاجُهُ: الشُّعُور بالمسؤوليَّة، والإحساس بالذَّات، والاستعداد للمُسْتقبل، واستثمار ما تَبقَّىٰ من العُمُر، وألَّا يكونَ في الحياة هامشيًّا.

١٤-تَضْييع الأوقات.

وعلاجُهُ: الاستفادةُ من وَقْت الفراغ بما هو مفيدٌ روحيًّا، أو جسميًّا، أو عقليًّا، أو ماديًّا، والابتعاد عمَّا فيه إلهاءٌ، أو تسويفٌ.

١٥-عَدَم إِدْرَاك عَوَاقب الأُمُور.

وعلاجُهُ: تَصوُّر النَّتائج وما تؤول إليه الأُمُور من حِرْمانٍ، وعقابٍ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني في «الجامع الصغير» (٥٦٤).

وجزاءٍ يبعد عن الوُقُوع في المُخَالفات.

١٦-الخَوْض والعمل في كلِّ شيءٍ، أو تَدخُّله فيما لا يَعْنيه.

وعلاجُهُ: الحِرْص علىٰ المفيد، وترك ما لا يفيد، فمِنْ حُسْن إسلام المرء تَرْكه ما لا يعنيه؛ لأنَّ هناك خطوطًا حمراء تَجَاوزها في الأعمال، أو الأقوال، يُورِد المَوَارد الَّتي لا تُحْمد عواقبها، لا في الدُّنيا، ولا في الآخرة.

١٧- السَّفر للخارج.

وعلاجُهُ: الحَذَر من السَّفر للخارج، وإِبَاحيَّته حتَّىٰ لا يرىٰ المنكر، ويَسْهل عليه تطبيقُهُ، وذلك لعَدَم النَّاصح والمُنبِّه، فيصبح مدمنًا عليه.

١٨- التَّفكير في نَشْوة اللَّحظة.

وعلاجُهُ: الاستعدادُ للحَيَاة المستقبليَّة، فلا يَهْدم شَبابَه وسُمْعته بإشباع هَوَاه لحظةً وساعةً، فيندم إلىٰ قيام السَّاعة.

١٩- إِهْمَال الأعمال الصَّالحة.

وعِلاجُهُ: الاستقامةُ الدِّينيَّة، فمَنْ حفظَ أوامرَ الله حفظَهُ، ومَنْ ضَيَّعها ضَاعَ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لابْنِ عبَّاسٍ- وكان غلامًا- قال: كنتُ خَلْف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ**

كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». قال الترمذي: «هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ» (٤/ ٦٦٧)[(١)].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ العَبْد لَيُحْرم الرِّزْق بالذَّنْبِ يُصِيبُه»[(٢)].

٢٠- حبُّ التَّملُّك بأيِّ وسيلةٍ.

وَعِلاجُهُ: الاحترامُ لخُصُوصيَّات الآخرين، ومِلْكيَّتهم، فكَمَا لَكَ حقٌّ فيما تملك، وخُصوصيَّة، فلا تَعْتدِ علىٰ حُقُوق الآخرين.

٢١- إِشْبَاعُ النَّفس، وإِعْطاؤها كلَّ ما تريد.

وعلاجُهُ: رَدْع مُيُول النَّفس عن كلِّ محظورٍ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤٠، ٤١].

وبِهَذَا نصلُ إلىٰ نهاية هذا البَحْث، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ الله وَسلَّم علىٰ مُحمَّدٍ، وصحبِهِ.

كتبه الشيخ

محمد بن رمزان آل طامي الهاجري

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٣٠٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٤٧٨).

فهرس الموضوعات

- مقدمة الناشر ٥
- المقدمة ١٦
- أقسام التربية ١٨
  - التربية بالتأسيس ١٨
  - نماذج من تربية الأنبياء لأتباعهم: ١٩
  - نماذج من تربية الصحابة لأبنائهم: ٢٠
  - أثر الصَّاحب على صاحبه: ٢٥
  - أهمية الترفيه في التربية: ٣٠
  - التربية بالقدوة: ٣٢
  - التربية بالعقاب والإنكار: ٣٤
- تربية التصحيح ٣٩
- ثمرات التربية بالتأسيس والتصحيح ٤٠
- الخاتمة ٤٧
- من كتاب «طريقة الإسلام في التربية» ٤٨
- أسباب جنوح الحدث ٥٥
  - الخلاصة: ٥٨

- مَرَاحل الإنسان: ٦٠
- تعريف الجنوح: ٦٠
- الأسباب العامَّة لجنوح الحدث على وجه الإجمال: ٦١
- الأسْبَاب العائدة لنفْس الحَدَث على وَجْه الإجمال، وسيأتي تفْصيلها وعِلَاجها: ٦٣
- بَعْضَ الأسباب العامَّة لجُنُوح الحَدَث، وشيئًا من عِلَاجها على وَجْه التَّفصيل: ٦٤
- الأسباب العائدة لنفس الحَدَث وجُنُوحه؛ (تفصيلها وعلاجها): ٧٤

فهرس الموضوعات..... ٧٩